الأسلوب الحكيم
دراسة تاريخية فنية

الدكتور

سعيد إسماعيل الهلالي

قسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

النساء/ ١١٣

صدق الله العظيم

الأسلوب الحكيم
دراسة تاريخية فنية

الدكتور
سعيد إسماعيل الهلالي
قسم البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لله رب العالمين،خلق الإنسان،علمه البيان، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين،ورحمة الله للعالمين ، سيدنا محمد النبي العربي الأمين ، الذي أوتي جوامع الكلم فكان أفصح الناطقين وأبلغ اللاهجين، وعلى آله وأصحابه سادة البشر، وقادة الأمم ومن سلك طريقهم إلى يوم القيامة والدين، وارض اللهم بفضلك وجودك عن العلماء العاملين بعلمهم وعنّا معهم يا رب العالمين.

وبعد

فإن بلاغتنا العربية- كشأن كل العلوم- لم تخرج إلى الوجود كاملة ناضجة ولكنها أصيبت بالتطور، وتطورها كان بطيئاً للغاية، وهذا ما أدى إلى تأخر ظهورها نسبيًا، وتأخر تبعًا لذلك نضجها،ولعله لما يبلغ بعد أشده،وقد لاحظ القدماء ذلك – وفي طليعتهم السبكي – حينما قرروا أن البلاغة علم لم ينضج ولم يحترق[1].

---

(1) راجع مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث للدكتور إبراهيم الخولي ط دار البصائر بمصر ط أولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م ص٥ .

والذي يراقب حركة هذا التطور الذي أصاب بلاغتنا – قبل كل شيء – يشعر بمتعة ولذة؛ لأنه يشاهد ميلاد مسائل هذا العلم ونشأتها وتطورها في مختلف الأزمان والعصور.

كما يتأكد له أن هذا العلم قد نما وترعرع بتضافر جهود الباحثين في أجيال متلاحقة: يتسلم كل جيل تراث من قبله، ويعمل في جد وروية ليتقدم به قليلاً أو كثيرًا.

وربما خط واحد منهم – رضوان الله عليهم أجمعين – سطرًا واحدًا في تاريخ هذا العلم قد كلفه من الجهد وطول العمل ما لم يعانه باحث آخر في مجلد كامل.

وهذا البحث في تاريخ ونشأة أسلوب من الأساليب البلاغية التي أشار إليها علماؤنا الجلاء منذ القدم، قد مرّ بمراحل متعاقبة، تسمَّى فيها بأسماء مختلفة وعديدة، كما حدث خلط بينه وبين بعض الألوان البلاغية التي لها علاقة به في المفهوم أو الأمثلة.

هذا اللون هو"الأسلوب الحكيم" الذي حظي بدراستين سابقتين:

الأولى: لابن كمال باشا،حيث أفرده برسالة من رسائله.عرَّفه فيها،وقسَّمه،وذكر أمثلة له،وقد حقَّق هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد بن علي الصامل،كما قدَّم لها بدراسة تحليلية بلاغية للأسلوب الحكيم.

الثانية: وهي لمحمد بن عيسى الشريفين وقد طالعتُ ملخصا عنها على شبكة المعلومات (الإنترنت) ورأيته قد تعرَّض فيها للأسلوب الحكيم في الحديث الشريف، فأبان عن الآثار التربوية والتعليمية له، كما ذكر صوره وبواعثه في الحديث.

وعلى الرغم مما تمتاز به هاتان الدراستان من دقة علمية- قد أفدت منها- فإن هناك أمورًا في غاية الأهمية لم يتعرض لها أحد منهما- وإن تعرَّض فبإيجازٍ شديدٍ وحديثٍ مقتضبٍ-حيث لم يُعن عناية كافية بنشأة وتطور هذا الأسلوب،وكذلك لم يُتحدَّث عن الخصائص الفنية والأغراض البلاغية له، ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتثري هذه الجوانب التي لم تُشْبع دراسة.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

فأما المقدمة فقد بيَّنت فيها أهمية الموضوع في حقل الدراسات البلاغية، والمنهج الذي ترسَّمته للوصول إلى ما أريد.

وفي المبحث الأول: تعرَّضت لنشأة وتطور الأسلوب الحكيم عند العلماء الذين أشاروا إليه أو تعرَّضوا له.

وفي المبحث الثاني:تعرضت لدراسة هذا الأسلوب دراسة بلاغية فنية.

وفي الخاتمة رصدّت أهم وأبرز النتائج التي أسفر عنها البحث.

ولا أزعم أنني في هذه المحاولة قد تلافيت النقص وسددت الثغرات كلها – لأن الكمال لله وحده والعصمة لا تكون إلا لنبي- لكنّي حاولت أن ألم إلمامة موجزة – اعتقدت أنها مفيدة - بتطور ونشأة الأسلوب الحكيم ، ومن ثم فقد اجتهدت في البحث عن مظانّه في كتب التراث والكتب الحديثة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

والله أسأل أن يكتب لهذه المحاولة النجاح وأن ينفع بها كاتبها وقارئها إنه من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.آمين

القنفذة – مكة المكرمة

٢٦ / شعبان/ ١٤٢٨هـ ١١ /٩/٢٠٠٧م

الدكتور

سعيد إسماعيل الهلالي

المبحث الأول
الأسلوب الحكيم النشأة والتطور

وفيه:

مدخل وأربع مراحل:

- **المرحلة الأولى: الإشارة إليه ومحاولة وضع المصطلح.**
- **المرحلة الثانية: وضع المصطلح والتعريف ، وتبيين الأقسام والتمثيل لها.**
- **المرحلة الثالثة: شرح التعريف وتوضيحه، وبيان فائدة العدول عن مقتضى الظاهر.**
- **المرحلة الرابعة: إفراده بالدراسة، ومحاولة التفريق بينه وبين الألوان البلاغية الأخرى.**
- **المرحلة الخامسة: محاولة استخراجه من التراث.**

الأسلوب الحكيم: النشأة والتطور

مدخل:

من المعروف أن لأيِّ لونٍ بلاغيٍّ نشأتين :إحداهما فنية تتعلق بنشأته بين فنون الكلام ،واتخاذه وسيلة من وسائل التعبير.

والثانية:علمية بلاغية تتعلق بنشأة مصطلحه البلاغي ومسائله وصوره.

وما أقصده هنا هو النشأة العلمية لهذا اللون البلاغي ، أما النشأة الأخرى فهي قديمة – شأنه فيها شأن بقية وسائل التعبير الأخرى – لا نستطيع تحديدها بدقة ، ولو أردنا ذلك فلنقرأ كلام العرب في الجاهلية شعرًا ونثرًا تمهيدًا للوصول إلى هذا الغرض،وهذا ليس باليسير؛ لأن كلام العرب لا يحيط به إلا نبي كما قال الشافعي رحمه الله.

وأعتقد أننا لو حاولنا تتبع هذا الأسلوب في كلام العرب فإننا سنراه بكثرة ؛ لأنه من الأساليب الثرية ذات الوقع ،كما أنه من الأساليب التي توحي بتمكن صاحبها من ناصية القول ومقامات الكلام،وهاتان الصفتان ترشحان وجوده بكثرة في كلام العرب في العصر الجاهلي.

على أن أقدم ما جاء عن العرب – عند البلاغيين – متمثلاً لهذا اللون البلاغي هو ما ينسب إلى حاتم الطائي في قوله مفتخرًا:

أتتْ تشتكي عندي مُزَاوَلَةَ القِرَى ∴ وقد رأتْ الضيفانَ يَنْحُونَ مَنْزِلي

فقلتُ كأنّي ما سمعتُ كَلامَهَا ∴ هُمُ الضيفُ جِدّي في قِرَاهم وعَجِّلي

كما جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وكذا الحديث الشريف وسوف نقف مع ذلك بالتوضيح والتحليل.

و أما النشأة العلمية لهذا الأسلوب – والتي هي محط النظر –

فإنني أحاول أن ألخصها في عدة مراحل؛ أستطيع من خلالها أن أبيِّن الأطوار التي مرّ بها هذا الأسلوب، وهو في سبيل نشأته العلمية.

وقد رتَّبتُ هذه المراحل حسب ما مر به الأسلوب الحكيم من تطور وتقدم على أيدي علمائنا الأجلاء، وليس على حسب الزمن،ومن ثم فقد تطول المرحلة وقد تقصر ، وسوف يتضح ذلك ومن الله العون وعليه التوكل.

المرحلة الأولى
الإشارة إليه ومحاولة وضع المصطلح

وهذه المرحلة تمثل ستة القرون الأولى ، وإذا ما أردنا أن نقف على موقف العلماء من الأسلوب الحكيم في هذه الفترة ،فإننا نرى أن هذا الأسلوب لم يكن معروفًا بهذا الاسم طيلة هذه الفترة ،لكن مدلوله ومفهومه كان معروفًا وإن لم يكن بنفس الضبط الموجود عليه هذا الأسلوب فيما بعد.

ولم يتحدث في هذه الفترة – حسب علمي – إلا رجلان:

الأول:هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ)

والثاني : هو الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)

ونقف مع الرجلين لنوضّح موقفهما من هذا الأسلوب.

١ـ الجاحظ

وإذا أردنا أن نتعرف على موقف أبي عثمان الجاحظ من هذا الأسلوب فإننا نستضيء بكلام علمائنا الأجلاء الذين تعرضوا لدراسة تراث الرجل،ووقفوا على كلامه وحاولوا تحليله والتنبيه على إشاراته، وفي طليعة هؤلاء يأتي أستاذنا الدكتور أحمد موسى في الصبغ البديعي ؛ إذ نراه يقرر أن الجاحظ عرض للأسلوب الحكيم ، وسمّاه

(اللغز في الجواب) وأفرده بباب ومثّل له. [١]

كذلك أشار الدكتور أحمد مطلوب إلى أن الجاحظ عقد باباً في البيان والتبيين سمّاه " اللغز في الجواب "[٢]

---

(١) الصبغ البديعي. ط. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م ص ١٤٢ .

(٢) معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب .ط مطبعة المجمع العلمي العراقي١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ج ١ ص ١٩٩.

كما ذكر أستاذنا الدكتور فوزي عبد ربه في دراسته للمقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين ، أن أبا عثمان درس الأسلوب الحكيم تحت عنوان :"كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وقصد صاحبه"؛ لأنه ذكر من أمثلة هذا النوع ما ينـدرج تحت مفهوم الأسلوب الحكيم .

ومن ذلك قوله :"وقد سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر – رضي الله تعالى عنه – وقد أقبل من جهة الحلبة – فقال له :

– من سبق ؟

– قال : سبق المقربون.

– قال : إنما أسألك عن الخيل.

– قال: وأنا أجيبك عن الخير.

فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له"[1] وهذا هو الأسلوب الحكيم كما أشار إلى ذلك الدكتور فوزي عبد ربه.

وبمراجعة كلام الجاحظ في هذا الباب نجد أنه ذكر عدة محاورات تجلّى الأسلوب الحكيم فيها،منها محاورة رجل للحطيئة ،ومحاورة خالد بن الوليد– ﷺ– لعبد المسيح بن عمرو بن الغساني.

فأما الأولى ، فقد قال فيها :" كان الحطيئة يرعى غنمًا وفي يده عصا، فمرَّ به رجلٌ ، فقال :يا راعي الغَنَم ما عندك ؟

قال : عَجُرَاءُ من سلَمٍ يعني عصاه .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ج٢ ١٤٨، والمقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين للدكتور فوزي عبد ربه .ط .مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠٥م ص ٢٤٢.

قال: إنِّي ضيف .

قال: هي للضيفان أعددتُها"[1]

وهذه المحاورة لا شك في أنها من الأسلوب الحكيم بقسميه؛ إذ فيها إجابة السائل بغير ما يسأل، كما أن فيها تلقّي المخاطب بغير ما يترقب.

والمحاورة الثانية قال فيها:" خالد بن الوليد لأهل الحِيرَة: أخرجوا إليّ رجلاً من عقلائكم، فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس الغساني... وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة فقال له خالدٌ:

- من أين أقصُّ أثرك ؟
- قال: من صُلْب أبي.
- قال: فمن أين خرجتَ ؟
- قال : من بطن أمي.
- قال : فعلام أنتَ ؟
- قال: على الأرض.
- قال: ففيم أنتَ ؟
- قال: في ثيابي.
- قال: ما سِنُّك ؟
- قال : عَظْمٌ .
- قال : أتعقل لا عَقلتَ؟
- قال إي والله وأقيِّد.

---

(١) البيان والتبيين ج٢ ص ٧٤والعجراء العصا التي فيها ابنَ- أي عُقَد- وسلَم بالتحريك نوع من الشجر ينظُر اللسان مادة :عجر.

- قال: ابنُ كَمْ أنتَ ؟
- قال: ابنُ رجلٍ واحدٍ.
- قال: كَمْ أتى عليك من الدهر؟
- قال: لو أتى عليّ شيءٌ لقتلني.
- قال : ما تزيدني مسألتك إلا غَمّاً
- قال: ما أجبتُك إلا عن مسألتك.
- قال: أعربٌ أنتم أم نبطٌ؟
- قال: عربٌ استنبطنا ونبطٌ استعربنا.
- قال:فحربٌ أنتم أم سِلْمٌ ؟
- قال : سِلْم... [1] إلخ هذه المحاورة التي ينتمي أغلبها إلى الأسلوب الحكيم كما نرى ؛ إذ فيها تلقي السائل بغير ما يسأل.

والجاحظ بهذا الكلام أول من فطن إلى الأسلوب الحكيم ، وهو – حسب علمي – أول من أشار إليه، وإن لم يسمه باسمه، كما أنه لم يبحثه بحثًا مستقلاً، ولكنه خلطه بغيره من الألوان البلاغية الأخرى، ونلاحظ أنه قد ذكره تحت عنوانين:الأول : " اللغز في الجواب".والثاني : " كلام يذهب السامع إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه".

وعلى الرغم من أن الجاحظ أول من فطن إلى هذا الأسلوب وأول من أشار إليه ، فإن المتأخرين من البلاغيين لم يشيروا إليه، وإنما أشاروا إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٤ .

فقط ، ولعلهم تأسوا بالخطيب القزويني حينما أشار إلى عبد القاهر في قوله: " وسمّاه عبد القاهر مغالطة".

وإنما الذي تنبه إلى ذلك هم المعاصرون بدءًا من أستاذنا الدكتور أحمد موسى في" الصبغ البديعي"، ومرورًا بالدكتور أحمد مطلوب في "معجم المصطلحات البلاغية"، والدكتور فوزي عبد ربه في" المقاييس البلاغية في البيان والتبيين" وانتهاءً بالدكتور محمد الصامل في دراسته عن الأسلوب الحكيم التي قدّم بها لتحقيق رسالة ابن كمال باشا.

وما من شك في أن ما قدمه الجاحظ من أمثلة شتى في هذا الباب قد لفت به أنظار البلاغيين من بعده لهذا النوع من الكلام. وأعطاهم الأساس للونين من الألوان البلاغية هما: اللغز والأسلوب الحكيم.

٢ـ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)

وجاء الإمام عبد القاهر الجرجاني وأشار إلى الأسلوب الحكيم، وإشارته هو الآخر لم تكن إشارة منفصلة مستقلة ، ولكنها كانت على سبيل الاستطراد؛إذ أشار إليه وهو يتحدث عن تقديم (مثل وغير)في قوله:

"وكقول الذي قال له الحجاج :"لأحملنّك على الأدْهم "يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة : "ومثل الأمير يحمل على الأدْهم والأشهب"، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بمثل إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه"[١] .

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر .ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) عام ٢٠٠٠م ص ١٣٨ .

ومما يميز إشارة عبد القاهر أنه اقترب فيها من وضع المصطلح، فسمّاه كما نرى المغالطة.

وهو في هذا يختلف عن الجاحظ؛ لأن عبارتيْ الجاحظ اللتين أشار بهما إلى الأسلوب الحكيم، وهما:

١- اللغز في الجواب.

٢- كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه.

لا يقصد منهما وضع مصطلح؛ إذ هما تشتملان على ما يدخل في مفهوم الأسلوب الحكيم وغيره، وهذا مما يدل على أن ما ذكره الجاحظ تحت العبارتين أعم من الأسلوب الحكيم.

فإذا كان أبو عثمان أول من أشار إلى هذا الأسلوب من خلال ذكر بعض أمثلته مختلطة بغيرها من وسائل التعبير الأخرى، فإن عبد القاهر الجرجاني أول من حاول وضع مصطلح له ؛ إذ أطلق عليه اسم المغالطة وإن لم يحدد المراد منها.

والمُغَالَطَة في اللغة : أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه ، والمَغْلَطَة والأُغْلُوطَة : الكلام يُغْلَطُ فيه ويُغَالَطُ به .والمُغَالَطَة : مفاعلة من هذا المعنى. (١)

وهذا المصطلح يتفق مع مفهوم الأسلوب الحكيم من ناحيتين:

الأولى : دلالة المغالطة على المشاركة ؛ إذ هي على وزن المفاعلة ، وهذا يتفق مع مفهوم هذا اللون البلاغي ؛ لأن الأسلوب الحكيم يقوم على المحاورة بين سائل ومجيب أو متكلم ومخاطب.

---

(١) اللسان مادة غلط.

الثانية: مجيء هذه المحاورة على خلاف ما يراه المخاطب، فكأنها تخطئة لكلامه، ولهذا أعجب الدكتور محمد أبو موسى بهذا المصطلح، فقال:" وعبد القاهر يسمي هذا الأسلوب المُغَالَطَة، وهو جدير بهذه التسمية، وإن كانت مغالطة أدبية"(١)

وقول شيخنا: وإن كانت مُغالطة أدبية يوحي بأن هذه المغالطة طريفة وليست مذمومة،وقد صرح بذلك الشيخ مخلوف المنياوي (ت ١٢٩٥هـ) ، وبيَّن علَّته ، فذكر عن هذه المُغالطة أنها ليست مذمومة – وإن أشعر الاسم بالذم – لما فيه من التنبيه على ما هو الأولى. (٢)

وعلى الرغم من قرب مصطلح المُغالطة من مفهوم الأسلوب الحكيم فإنه لم يشع بين البلاغيين للدلالة على هذا الأسلوب ، فهم لا يكادون يذكرونه إلا وهم يتحدثون عن نشأة هذا الأسلوب وتاريخه ليبينوا موقف الإمام عبد القاهر منه.

على أن مصطلح المُغالطة قد انفك بعد عبد القاهر عن الأسلوب الحكيم، وقد استعمل للدلالة على نوع بلاغي آخر، وهو التورية كما هو عند ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، ويحيى العلوي (ت ٧٤٥هـ)، وإن كانت تسمى عندهما بالمغالطة المعنوية.

---

(١) خصائص التراكيب ط مكتبة وهبة بالقاهرة ط ثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ص ٢١١

(٢) حاشية الشيخ مخلوف المنياوي على شرح حلية اللب المصون . مكتبة اليمن الكبرى. صنعاء . اليمن ص ٨٢ نقلاً عن الأسلوب الحكيم مع تحقيق رسالة ابن كمال باشا للدكتور محمد الصامل ط دار أشبيليا السعودية .ص ٢٠

فقد عقد ابن الأثير باباً أسماه " المغالطات المعنوية" أبان فيه عن منزلة هذا اللون ، وبيَّن أنه أحلى ما استعمل في الكلام وألطفه لما فيه من التورية ، وذكر أن حقيقته هي أن يذكر معنى من المعاني، له مثل في شيء آخر ونقيض ، والنقيض أحسن موقعًا وألطف مأخذاً. (١)

وعقد العلوي بابًا في التورية وجعلها في ضربين : الأول في المغالطة المعنوية ، والثاني في الإلغاز.

وعرَّف المغالطة بقوله : هي أن تكون اللفظة الواحدة دالة على معنيين على جهة الاشتراك فيكونان مرادين بالنية دون اللفظ" (٢)

(١) المثل السائر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت ح ٢ ص ٢٠٣

(٢) الطراز للعلوي. ط. دار الكتب العلمية .بيروت. لبنان .ج ٣ ص٦٣ .

المرحلة الثانية
وضع المصطلح والتعريف ، وتبيين الأقسام والتمثيل لها

وأما المرحلة الثانية من مراحل تطور هذا الأسلوب، فقد كانت على يد سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي (ت٦٢٦هـ) في القسم الثالث من كتابه الشهير (مفتاح العلوم).

ونظرًا لدقة كلام الإمام وأهميته بالنسبة للأسلوب الحكيم، فإنَّني سأعرضه كاملاً ، وأحاول أن أستخلص منه ما قدَّمه السكاكي لهذا الأسلوب الفريد.

قال السكاكي في آخر علم المعاني:

" ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، أساليب متفننه؛ إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، على ما تنبَّه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة وترشد إليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى ، ولكل من تلك الأساليب عِرْقٌ في البلاغة يتشرب من أفانين سحرها ولا كالأسلوب الحكيم فيها ، وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقَّب كما قال :

أتتْ تشتكي عندي مُزاوَلةَ القِرَى ∴ وقد رأتِ الضَّيفانَ يَنْحَوْنَ مَنْزِلي

فقلتُ كأنّي ما سمعتُ كَلامها ∴ هُمُ الضَّيفُ جِدّي في قِراهم وعَجِّلي

أو السائل بغير ما يتطلَّب كما قال تعالى:" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ

هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" (١).

قالوا في السؤال: ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ فأجيبوا بما ترى ، وكما قال : " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ" (٢)

سألوا عن بيان ما ينفقون فأُجيبُوا ببيان المَصْرف، يُنَزّل سؤال السائل منزلة سؤالٍ غير سؤاله؛ لتوخّي التنبيه له بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال، هو أليق بحاله أن يسأل عنه، أو أهم له إذا تأمل.

وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرّك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور ،وأبرزه في معرض المسحور، وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجيّ، وسلّ سخيمته حتى آثر أن يحسن على أن يسيء ، غير أن سحره بهذا الأسلوب ؛ إذ توعده الحجاج بالقيد في قوله : لأحملنّك على الأدهم فقال متغابياً : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، مبرزاً وعيده في معرض الوعد متوصلاً أن يريه بألطف وجه أن امرأ مثله في حسن الإمرة المطاعة خليق بأن يَصْفَدَ لا أن يُصَفِّدَ وأن يَعِدَ لا أن يُوعد" (٣)

---

(١) سورة البقرة / ١٨٩

(٢) سورة البقرة / ٢١٥

(٣) ينظر مفتاح العلوم تحقيق حمدي محمدي قابيل . ط المكتبة التوفيقية . القاهرة .مصر ص ٢٨٧ وما بعدها

هذا هو حديث أبي يعقوب عن الأسلوب الحكيم، ونستطيع من خلال قراءته بعمق وإمعان أن نستخلص منه ما يأتي:

١- وضع السكاكي هذا الأسلوب في علم المعاني – بعد تقسيم علم البلاغة إلى أقسامه الثلاثة- وهو في هذا محق ،وذلك لما فيه من مطابقة لمقتضى الحال.

٢- أنه جعله ضمن صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ولم يجعله خاصًا بالمسند إليه، بل يشمله وغيره.

٣- أنه أول من سمّاه بالأسلوب الحكيم ،وهذه التسمية دقيقة، ولعله استلهمها من الجاحظ وعبد القاهر حينما أطلقا عليه : "اللغز في الجواب" و"المغالطة"؛لأن هاتين التسميتين تطلبان طريقة متقنة من طرق الكلام،كما تطلبان حكمة ودقة من صاحبهما.

وقد كتب لهذه التسمية الشهرة والذيوع والانتشار والبقاء؛ حتى غدا هذا الأسلوب لا يعرف إلا بها منذ إطلاق السكاكي عليه ذلك،ولا يكاد البلاغيون يذكرون تسميتي الجاحظ وعبد القاهر إلا في مقام الحديث عن تطور هذا الأسلوب، وإذا كان بعضهم قد أعجب بتسمية عبد القاهر فإنه لم يعجب بها لكونها تسمية دقيقة ،وإنما لما فيها من دلالة على معنى لطيف.

٤- أنه أول من وضع له تعريفًا دقيقًا لا يزال يذكر به حتى اليوم وهو:" تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب... أو السائل بغير ما يتطلَّب" ، ولم يخرج البلاغيون من بعده على هذا التعريف، وما زادوا عليه إلا الشرح والتوضيح فقط.

٥- أنه أول من أشار إلى قسميْ هذا الأسلوب وهما:

أ- تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب، و مثَّل له بالبيتين ،

ومحاورة الغضبان بن القبعثري للحجاج .

ب- إجابة السائل بغير ما يسأل ،ومثَّل له بآيتي الأهلة والنفقة.

٦- أنه أول من مثَّل لهذا الأسلوب من القرآن الكريم – كما في آيتي البقرة- والشعر، وكانت الأمثلة عند الجاحظ وعبد القاهر من خلال المحاورات النثرية.

٧- أنه أول من كشف عن أثر هذا الأسلوب في الكلام ،وأماط اللثام عن بلاغته ، فقد ذكر عنه أنه إذا صادف المقام ، فإنه يحرك من نشاط السامع ، ويسلبه حكم الوقور ،ويبرزه في معرض المسحور، واستدل على هذا الأثر بموقف ابن القبعثري مع الحجاج بن يوسف الثقفي ؛فقد استطاع أن يستل سخيمته، وأن يسحره بهذا الأسلوب حينما توعّده بالقيد.

كما أشار إلى ما يتمتع به هذا الأسلوب من لطف في الحديث وتأدبٍ في الخطاب والمحاورة.

وباختصار شديد ما وجدت أحداً من البلاغيين تحدَّث عن بلاغة هذا الأسلوب وأثره على الكلام ، مثل حديث السكاكي ،تأمَّل قوله :" ولكل من تلك الأساليب – أي أساليب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر- عِرْقٌ في البلاغة ،يتشرب من أفانين سحرها،ولا كالأسلوب الحكيم فيها ..." فالأسلوب الحكيم يفوقها جميعها ، و السكاكي في هذا ليس مبالغاً؛لأن هذا الأسلوب ليس أسلوبًا عاديًا،بل يخرج عن المألوف؛إذ فيه من الحكمة والبلاغة ما فيه، كما أنه يزيد الكلام رونقًا وجاذبية .

هذا هو مجمل حديث أبي يعقوب السكاكي عن الأسلوب الحكيم،وهو وإن كان موجزًا لكنه يشير إلى كل مسائله.

المرحلة الثالثة
شرح التعريف وتوضيحه، وبيان فائدة العدول عن مقتضى الظاهر.

وكانت المرحلة الثالثة من مراحل نشأة هذا الأسلوب وتطوره على يد الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت ٧٣٩) ،الذي أخذ كلام السكاكي فأوضحه وهذَّبه،فقال:

"ومن خلاف المقتضى ما سمَّاه السكاكي الأسلوب الحكيم ، وهو تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلَّب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له..."(١).

وقد ذكر الأمثلة التي ذكرها السكاكي، ثم ذكر عقب القسم الأول من قسمي الأسلوب الحكيم أن الإمام عبد القاهر سمَّاد مغالطة.

هذا هو مجمل حديث الخطيب القزويني ، وبالنظر فيه نستخلص ما يأتي:

١- لم يخرج الخطيب عمّا جاء به السكاكي ،فتسميته هي تسميته ، وتعريفه هو تعريفه ، وتقسيمه هو تقسيمه ، والأمثلة واحدة, وكل ما صنعه الخطيب أنه شرح كلام السكاكي ، وأوضحه ، ونسَّقه ، فقد شرح قول السكاكي :" تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب " بقوله :" بحمل كلامه على خلاف ما يراد .وذكر

(١) ينظر التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني ضبط وشرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي. ط. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ص ٩٧، والإيضاح للخطيب القزويني مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م. ص ٤٦

علة هذا التلقِّي بقوله : " تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد".

وشرح قول السكاكي في الضرب الثاني :" تلقِّي السائل بغير ما يتطلَّب" بقوله: بتنزيل سؤاله منزلة غيره.

ثم ذكر علة هذا التلقِّي بقوله تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له، وقد استقى هذا التعليل من كلام السكاكي أيضًا، ونستطيع أن نجزم بأن ما زاده الخطيب في التعريف ليس إلا تعليلاً لهذا الخروج وبياناً لفائدته.

٢- وضع القزويني الأسلوب الحكيم في علم المعاني مثلما صنع السكاكي ، ولا يفرق بينهما إلا أن السكاكي ذكره في آخر علم المعاني على سبيل الاستطراد ،أما الخطيب فقد ذكره ضمن مباحث خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،وهو يتحدث عن مباحث المسند إليه، وهذا ما أغرى بعض الباحثين بأن يجعله خاصًا بالمسند إليه.

٣- أشار الخطيب إلى أن عبد القاهر كان يسمي هذا الأسلوب بالمغالطة، دون أن يعلق برفض أو قبول لهذه التسمية، لكن كلامه يوحي بأن هذه التسمية خاصة بالضرب الأول، وهو تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب.

وهذا الضرب فعلاً هو الذي تتجلى فيه المغالطة، بخلاف الثاني؛ فليست فيه مغالطة خصوصًا وقد جاء منه الكثير في القرآن الكريم، ولا يصح لنا أن نطلق هذه الكلمة على تعبير قرآني؛ لأنها توهم بالذم تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

٤- ذكر الخطيب الأسلوب الحكيم في علم المعاني ،وذكر القول بالموجب – الذي ابتكره ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) – في علم البديع ، وتبعه في هذا شرَّاح التلخيص

وأصحاب الحواشي، وهذا مما يوحي بأنه يفرِّق بينهما،ولا يرى أحدهما مرادفًا للآخر،وسوف نقف مع ذلك بشيءٍ من التوضيح.

هذا كل ما قدَّمه الخطيب القزويني للأسلوب الحكيم،ثم جاء شرَّاح التلخيص من بعده،وقد انحصر كل جهدهم في الشرح والتوضيح،وإظهار أواصر القربى بين هذا الأسلوب،وبين بعض ألوان البديع القريبة منه في مفهومها وشواهدها ، وذلك كالقول بالموجب ، والتورية ، والمشاكلة ، والاستدراك والعطف ، وتجاهل العارف ، وقد حاول بعضهم التفريق بينه و بينها.

ومن ثم فإننا نستطيع أن نجزم بأن هذه المرحلة لم تقدم شيئاً ذا بال لهذا الأسلوب.

المرحلة الرابعة:
إفراده بالدراسة ومحاولة التفريق بينه وبين الألوان البلاغية الأخرى

ثم جاء شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ، وأفرد الأسلوب الحكيم بالدراسة؛ إذ وضع رسالة في بيان الأسلوب الحكيم وتمييزه عن الأساليب المعتبرة عند أرباب البلاغة وأصحاب البراعة.

وقد حاول ابن كمال باشا أن يحدِّد مفهوم الأسلوب الحكيم ببيان موضوعه ، ولم يحرص على تحديد تعريفه سواء بالنقل عن غيره أو بصياغة من عنده ، ثم عرض أمثلته عند البلاغيين وحلَّلها وناقشها،وبيَّن وجه الاعتراض على بعضها وردَّ عليه،وبيَّن الغرض البلاغي لأغلب الأمثلة، ولم يقتصر على أمثلة البلاغيين ، بل زاد عليها أمثلة أخرى وبخاصة من الحديث الشريف ، وبيَّن انتماء كل مثال إلى أحد قسميْ الأسلوب الحكيم ، بل إنَّه انتقد السكاكي في تصنيفه للأمثلة،وإن كان لا يُسلَّم له بذلك...

وقد استغرق عرض أمثلة القسمين وتحليلها معظم الرسالة، وتخلل ذلك بعض الاستطرادات اليسيرة، بعضها استطراد بلاغي اقتضاه تحليل الأمثلة، وبعضها استطرادات لغوية لها صلة بالموضوع البلاغي ولكنها ليست وثيقة.

وفي آخر الرسالة أشار إلى قضيتين مهمتين:

أولاهما: التفريق بين الأسلوب الحكيم والقول بالموجب مع العلم بأنه لم يصرح بمصطلح القول بالموجب، ولكنه اكتفى بعرض أحد أمثلته التي ترشد إليه، وقد بيَّن وجه التشابه، ثم أشار إلى ما يميز أحدهما عن الآخر.

وثانيهما: إشارته إلى انتماء الأسلوب الحكيم إلى علم المعـــاني وأن ذلك هو أحد ما يميزه عن القول بالموجب الذي يعد محسنًا بديعيًا.

هذا هو مجمل المادة العلمية في هذه الرسالة ، وطريقة ابن كمال باشا في عرضها، ولعلك تلاحظ أن هذا الرجل هو أول من أفرد الأسلوب الحكيم برسالة خاصة ، وذلك نظرًا لأهميته بين ألوان التعبير ؛إذ يتمتـــع بطبيعـــة خاصة أهلَّته أن ينال اهتمام البلاغيين به.

كما نلاحظ على ابن كمال باشا أنه أول من مثَّل للأسلوب الحكـــيم من الحديث الشريف، ولعله لاحظ خلو أمثلة البلاغيين من ذلك مـــع توفرها فيه.

وقد حقَّق رسالة ابن كمال باشا الدكتور محمد بن علـــي الصـــامل الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض بالمملكة العربية السعودية [1] ، وقد قدّم لها بدراسة مستفيضة للأسلوب الحكـــيم ، عرَّفـــه ،وذكـــر مصطلحاته ،وبيَّن أقسامه ،وأشار إلى نشأته وتطوره ،كما أبان عـــن العلاقة بينه وبين بعض الألوان البديعية ، وقد أكثر من الأمثلة لهـــذا الأسلوب من مختلف المجالات ،القرآن الكريم ،والحديث الشـــريف . والشعر،والمحاورات التراثية وإن لم يسلم بوجوده في القرآن الكريم.

وجاء بعد ابن كمال باشا أصحاب البديعيات ، وقد خلط بعضهم بين الأسلوب الحكيم وبين لون بديعي آخر، وهو القول بالموجب، وليس الأمر كذلك ؛ لأن القول بالموجب فن آخر ، وذهب إلى ذلك كثير منّ البلاغيين كالمدني الذي قال عن القول بالموجـــب :"هـــو والأســـلوب الحكيم رضيعا لبان وفرسا رهان حتى زعم بعضهم أن أحدهما عـــين الآخر وليس كذلك"[2] .

---

(١) طبع دار أشبيليا للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية عـــام ١٤٢٢هـــ

(٢) أنوار الربيع لابن معصوم المدني تحقيق شاكر هـــادي، شـــكر

ثم قال :" هذا النوع – أعني القول بالموجب – يشترك هو والأسلوب الحكيم في كون كل منهما من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ،ويفترقان باعتبار الغاية فإن القول بالموجب غايته ردّ كلام المتكلم وعكس معناه ،والأسلوب الحكيم هو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلّب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له "(١)

وذكر أمثلة الأسلوب الحكيم ليفرّق بينه وبين القول بالموجب، وسوف نعود إلى هذه القضية مرة أخرى بشيء من التفصيل.

ومما يجب التنبيه إليه هنا – ونحن نتحدث عن مرحلة إفراد هذا الأسلوب بالدراسة– أن لشيخنا السيد أحمد الهاشمي كتابًا اسمه :" الأسلوب الحكيم" وهذا يعني أن الرجل – رحمه الله – قد أفرد هذا الأسلوب بالدراسة ، لكن بالرجوع إليه وجدت أن الكتاب ليس في هذا اللون البلاغي الذي نحن بصدد الحديث عنه ، وإنما هو في صناعة الإنشاء ، ومن ثم عدل الشيخ عن هذا العنوان في طبعات الكتاب الأخيرة فسمّاه :" ديوان الإنشاء أو الأسلوب الحكيم في منهج الإنشاء القويم"(٢) .

مكتبة العرفان، كربلاء العراق، ط أولى ١٣٨٨هـ.ج٢ ص ١٩٨

(١) أنوار الربيع ج٢ ص ٢٠٩ نقلاً عن معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب ج ١ ص ٢٠١

(٢) طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٦هـ

المرحلة الخامسة:
استخراجه من التراث الأدبي

وقد تمثَّلت هذه المرحلة في تطبيق هذا الأسلوب على التراث الأدبي ومحاولة استخراجه منه ، وكان من أوائل ما وجدت من ذلك ،أنني وجدت على شبكة المعلومات(الإنترنت) أن محمد بن عيسى الشريفين قد كتب عن الأسلوب الحكيم في الحديث الشريف وأثره التربوي والتعليمي.

وقد ذكر أنه تناول في هذا البحث (الأسلوب الحكيم) بمعناه الاصطلاحي ، ومعناه في البلاغة والأدب ،ثم معناه في الحديث الشريف، ثم تناول استخدام المصطفى- ﷺ- لهذا النسق اللغوي من حيث البواعث والتصور ،فبيَّن البواعث التي استخدم المصطفى- ﷺ- من أجلها هذا الأسلوب ثم الصور التي استخدم فيها هذا النسق.

وقد خلص من خلال دراسة البواعث لاستخدام هذا الأسلوب إلى الآثار التربوية والتعليمية التي يمكن الإفادة منها في مجالي التعليم والدعوة إلى الله- تعالى - من خلال استخدام المصطفى- ﷺ- لهذا الأسلوب.

ولم أتمكن - رغم محاولتي الشديدة - من مطالعة هذا البحث أو على الأقل أن أتصفحه على شبكة المعلومات.

إلا أن هذا على كل حال يوحي بدخول الأسلوب الحكيم مرحلة جديدة ومتقدمة ، وهي مرحلة التطبيق ،ومحاولة استخراجه من التراث ، وقد بدئ بالحديث الشريف ،وكانت الغاية من بحثي هذا هي الوقوف على هذا الأسلوب في رحاب الكتاب العزيز لمعرفة صوره وبواعثه ،ولمحاولة استجلاء خصائصه الأسلوبية وأسراره البلاغية وآثاره التربوية.

لكني أردت هنا أن أركّز على بعض جوانب هذا الأسلوب التي لم تلق العناية الكافية من السابقين، وبعون الله وحوله سوف تأتي الحلقة التالية ، وهي الوقوف على هذا الأسلوب في القرآن الكريم ولعل أحدًا يبحثه في الشعر العربي بمختلف عصوره،

ومن ثم يكتمل الأمر لهذا الأسلوب الذي يعد في طليعة الأساليب الدافئة.

تلك هي رحلة نشأة هذا الأسلوب، وهذه مراحل تطوره عبر الأزمان والعصور، وأستطيع أن أجمل ما تشتمل عليه كل مرحلة فيما يأتي:

المرحلة الأولى: تضمّنت الإشارة إليه ومحاولة وضع المصطلح.

المرحلة الثانية: تضمّنت وضع المصطلح والتعريف، وتوضيح الأقسام والتمثيل له.

المرحلة الثالثة: تضمّنت شرح التعريف، وتوضيحه، وبيان فائدة العدول.

المرحلة الرابعة: إفراده بالدراسة والبحث، والتفريق بينه وبين غيره من الألوان البلاغية الأخرى.

المرحلة الخامسة: استخراجه من التراث الأدبي.

ولعلي بهذه الجولة مع هذا الأسلوب أكون قد وفقت في إضاءة أطوار حياته ومراحل نشأته، والله الموفق.

المبحث الثاني
الأسلوب الحكيم عند البلاغيين
(دراسة فنية)

توطئة:

هذا الأسلوب من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب،وهو ليس من مباحث المسند إليه ، وإنما ذكره البلاغيون ضمنها ؛لأنهم لمّا تحدَّثوا عن صور إخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر استدعى كلامهم ذكر عدة أقسام من ذلك، وإن لم تكن من مباحث المسند إليه.

وقد نبَّه السعد – وهو من المدققين – إلى هذا الأمر في مستهل حديثه عن الأسلوب الحكيم ، فقال :" ولما انجر كلامه – يعني الخطيب – إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه ، وإن لم يكن من مباحث المسند إليه ، فقال : ومن خلاف المقتضى تلقِّي المخاطب..." [1] .

قلت هذا الكلام ؛لأن بعض الباحثين قد التبس عليه الأمر فاعتبر هذا الأسلوب من صور إخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر وراح يؤكده[2]، على الرغم من أن الأسلوب الحكيم لا يختص بالمسند إليه بل يشمله و غيره.

وقد ذكر أغلب البلاغيين – وخصوصًا الخطيب ومدرسته– هذا الأسلوب ضمن مسائل علم المعاني؛وذلك لأن الكلام يطابق

---

(١) المطول ص ١٣٥

(٢) بحوث المطابقة لمقتضى الحال للدكتور علي البدري ط مطبعة السعادة بالقاهرة القسم الأول ص٢٠٣

به مقتضى الحال،وعلم المعاني يبحث في أحوال اللفظ العربي من حيث مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وذكره بعض العلماء ضمن مباحث علم البديع ؛وذلك نظرًا لما يحدثه هذا اللون البلاغي في الكلام من تطرية ونشاط وحسن.

وقد سمَّى السكاكي هذا الأسلوب بالأسلوب الحكيم ،وسمَّى الشيخ عبد القاهر النوع الأول منه بالمغالطة،ولم أجد - حسب علمي- أحدًا قد سمَّاد بهذد التسمية قبل السكاكي كما لم أعلم أحدًا قد بحثه قبل الجاحظ.

وفيما يلي نحاول أن نقف على مفهوم هذا اللون البلاغي، كما نحاول أن نقف على صوره وبلاغته، وسوف يدور حديثنا حول عدة نقاط، هي:

١- مفهوم الأسلوب الحكيم عند البلاغيين.

٢- صور هذا الأسلوب في الكلام البليغ.

٣- وقفة بين الأسلوب الحكيم وبين بعض الألوان البلاغية الأخرى.

٤- بلاغة الأسلوب الحكيم وأثره على الكلام والمخاطب .

ومن الله العون وعليه التوكل.

أولاً: مفهوم الأسلوب الحكيم

يحسن بنا قبل أن نخوض غمار البحث في هذا اللون البلاغي الفريد أن نقف على مفهومه اللغوي والبلاغي ؛لأن تحديد المصطلح يضبط المسار،ويحدد الاتجاه،ويمنع من الخلط، خصوصًا وأن الأسلوب الحكيم قريب في مفهومه وشواهده من بعض الألوان البديعية ، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى الخلط بينه وبين هذه الألوان.ونبدأ بالوقوف على المفهوم اللغوي؛لأنه يعتبر الركيزة السياسية لفهم المدلول الاصطلاحي.

الأسلوب الحكيم لغة:

هذا المصطلح يتكون من لفظين:

أ- الأسلوب. ب - الحكيم.

والأُسلوب بالضم :الفن؛يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه...ويقال للسطر من النخيل - كذلك - أسلوب ،وكل طريق ممتدٌ فهو أسلوب ، ويطلق كذلك على الوجه والمذهب. (١)

وهذه المعاني التي تدل عليها كلمة الأُسلوب ، وتُستعمل فيها ليست بعيدة وغريبة عما يراه البلاغيون منها؛إذ هم يعنون منها - فيما يخص الأسلوب الحكيم - أنها طريقة من طرق الكلام، أووجه من وجوهه، أو مذهب من مذاهبه ،أو فن من أفانينه.

الحكيم: والحكيم فَعيلٌ بمعنى (مُفْعَل) أي مُحْكَم ،فهو مأخوذ من الثلاثي المزيد (أُحْكِمَ) ، فتقول فيه: أَحْكَمَ هذا يُحْكِمُه، فهو مُحْكَمٌ والفاعل مُحْكِمٌ، وقد سمّى الأعشى القصيدة المُحْكَمَة

(١) اللسان مادة: سلب

حَكِيمَةٌ فقال:

وغَرِيبَةٍ تَأتِي المُلُوكَ حَكِيمَةٍ ∴ قَدْ قُلتُها لِيُقَالَ: مَنْ ذَا قَالَها؟

وفي الحديث الشريف في صفة القرآن :" وهو الذكر الحكيم "، أي الحاكم لكم وعليكم إذا كان فعيل بمعنى مُفْعِل ، أو هو المُحْكَم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب،إذا كان فعيل بمعنى مُفْعَل.

و أحكم الأمر: أتقنه، وأحكمتُه التجارب على المثل، وهو من ذلك، ويقال للرجل إذا كان حكيمًا: قد أحكمتْه التجارب، والحكيم المُتْقِن للأمور. وأحكمتُ الشيءَ فاستحكم : صار محكمًا واحتكم الأمر واستحكم وثق... (١)

ومن خلال كلام اللغويين عن هذه الكلمة ندرك أن (الحكيم) من أحكم بمعنى أتقن وهو فعيل بمعنى مُفْعَل.

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن الأسلوب الحكيم يعني عند اللغويين طريقةً مُتْقَنَةً من طرائق الكلام أو فنًا مُتْقَنًا من أفانينه.

وهذا المعنى ليس بعيدًا عن المدلول الاصطلاحي؛ بل هو توصيف له، وسوف نرى أنهما يتعانقان على تقديم هذا الأسلوب بصورة واضحة.

الأسلوب الحكيم بلاغة:

عرَّف البلاغيون الأسلوب الحكيم بقولهم:"هو تَلَقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يَتَطَلَّب بتنزيل سؤاله

(١) اللسان مادة:حكم

منزلة غيره تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المُهِمّ له"[1]

وهذا التعريف هو الذي استقر عليه البلاغيون المتأخرون،ومن المعروف أن أول من أرسى قواعده هو السكاكي (ت٦٢٦هـ) حيث عرَّفه بقوله هو تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب ... أو السائل بغير ما يتطلَّب"[2]

وبالتأمل في تعريف السكاكي وتعريف البلاغيين من بعده نجد أن البلاغيين لم يضيفوا شيئًا ذا بال في هذا التعريف ، اللهم إلا بعض الألفاظ التي تُوضِّح مفهومه أو تُعلِّل لخروجه على مقتضى الظاهر أو تبيِّن فائدته وسببه.

ونحاول أن نقف مع تعريف البلاغيين لنُوضِّحه ونبيِّن دقائقه ، وأول ما يلقانا من ذلك أن هذا التعريف يُوحي بأن الأسلوب الحكيم قسمان:

١- تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب.

٢- إجابة السائل بغير ما يطلَّب.

وقولهم في التعريف:"تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب"يشير إلى القسم الأول، والتلقِّي :هو المواجهة ، يقال تلقَّاه بكذا أي واجهه به، ولمّا ضُمِّن التلقِّي معنى المواجهة تعدَّى للمفعول الثاني بالحرف.

والمراد منه:مواجهة المتكلم المخاطب بغير ما ينتظر،وذلك بحمل كلامه – أي كلام ذلك المخاطب – على خلاف مراده.

---

(١) ينظر التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني شرح عبد الرحمن البرقوقي. ط. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ص ٩٧ والإيضاح له أيضاً ص ٤٦

(٢) المفتاح للسكاكي ص٢٨٧

ومما يجب التنبيه إليه هنا هو أن شُرَّاح التلخيص قد تعددت وجهات نظرهم في ضبط كلمة المخاطب في قولهم:" تلقي المُخَاطَب". فضبطها السبكي (ت٧٧٣هـ) بكسر الطاء – على أنها اسم فاعل – وقد علَّل ذلك بقوله :" وإنما قلنا بالكسر ليعود الضمير في(كلامه) إليه؛لأنه لا يصدق عليه قبل تَلَقِّيه لما يتوقع أنه مُخَاطَب – بالفتح – حقيقة"[١]

وضبطها السعد(٧٩١هـ) بفتح الطاء على أنها اسم مفعول، وحينئذ يكون قولهم :"تلقِّي المُخَاطَب "من إضافة المصدر إلى اسم المفعول ، والمراد تلقِّي المتكلم المُخَاطَب.

وقد تبع السعد ابن يعقوب المغربي (ت ١١٢٨هـ) والدسوقي (ت١٢٣٠هـ) في ضبط الطاء ، حيث جعلاها من اسم المفعول. [٢]

على أن هذا الخلاف في ضبط هذه الكلمة ليس له أثر كبير على الأسلوب الحكيم – لأنها على كلا الضبطين منه – ؛ ومن ثم ذكر بعضهم أن الوجهين جائزان.

لكن يبقى علينا أن نعرف توجيه كُلّ ضبط من هذين الضبطين ،وقبل الوقوف على ذلك ينبغي أن نعلم أن الأسلوب الحكيم يقوم على:

١- المحاورة بين اثنين مخاطِب ومخاطَب أو سائل ومجيب.

٢- الإجابة بغير ما يترقَّب.

---

(١) عروس الأفراح – ضمن شروح التلخيص – ج ١ ص ٤٨٠

(٢) شروح التلخيص ج ١ ص ٤٧٩

٣- مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل.

وإذا ما ضبطنا (المُخَاطِب) بالكسر يكون المعنى أن المُخَاطِب الثاني قد تلقَّى المُخَاطِب الأول (وهو المتكلم) بغير ما يترقَّب بحمل كلامه على خلاف مراده.

وإذا ما ضُبِطَتْ بالفتح يصبح المعنى أن المتكلم وهو المُخَاطِب الأول قد تَلَقَّى المُخَاطَب الثاني بغير ما يترقَّب بحمل كلامه على خلاف مراده.

فالهاء في(كلامه) على ضبط المُخَاطِب بالكسر تعود على المتكلم ، وهو المخاطِب الأول في المحاورة.

وعلى الضبط بالفتح تعود على المخاطب الثاني في المحاورة.

وسواء أكان هذا أم ذاك فالأسلوب الحكيم قائم ،ومن ثم قال البلاغيون بجواز الوجهين،ولكن لكل وجه اعتباره فاعرفه!!

وإنما يحمل المتكلم كلام المُخَاطَب على خلاف مراده؛ فيتلقَّاه بغير ما يترقَّب؛ ليراعي مقتضى الحال؛ولينبِّه المخاطب على أن ذلك الجواب الذي لا يترقَّبه من المتكلم هو الأولى بالقصد والإرادة دون ما ينتظر.

وقولهم :" الأولى بالقصد " أي الواجب بالقصد،ويكون ذلك على حسب تفاوت المقامات ، وكونه أولى بالقصد ، إما بالنظر إلى حال المتكلم، أو حال المخاطب، أو حال غيرهما. [١] وسوف نعود إلى ذلك فيما سيأتي.

وقول البلاغيين: أو السائل بغير ما يَتَطَلَّب" يشير إلى القسم

---

(١) الأطول للعصام تحقيق د عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط .أولى .١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ج ١ ص ٤٢٤

الثاني من الأسلوب الحكيم، ومعناه إجابة السائل بغير ما يسأل.

والتطلُّب:هو الطلب مرة بعد أخرى،والتلقِّي المذكورهنا لا يختص بمن يبالغ في الطلب، ومن ثَمَّ كان الأولى أن يقال:بغير ما يَطْلُب.

وقد تنبَّه الدسوقي – رحمه الله – إلى هذا المَلْحَظ حيث استوقفته هذه الكلمة، وحاول أن يُوجد لها مخرجًا؛ فقال :" في الصِّحاح :التطلُّب: هو الطلب مرة بعد أخرى ،فالأولى بغير ما يَطْلُب ؛لأنّ ذلك التلقِّي لا يختص بمن يبالغ في الطلب ، وكأنه عبَّر به لأجل حسن الازدواج بين يتطلَّب،يترقَّب فرجَّح رعاية جانب اللفظ على جانب المعنى ، أو أنه عبَّر به إشارة لمزيد الشوق الحاصل عند السائل فكأن ذلك السائل لمزيد الشوق الحاصل عنده كالطالب للجواب مرَّة بعد أخرى".[1]

فالدسوقي تنبَّه إلى أن كلمة (تطلَّب) في تعريف البلاغيين للأسلوب الحكيم غير دقيقة ،وذهب إلى أن الأولى منها :" بغير ما يَطْلُب" دون تشديد ؛لأن التلقِّي بغير المُرْتَقِب لا يختص بمن يبالغ في الطلب ، وهذه ملاحظة دقيقة من العلامة الدسوقي ، والأدق منها أنه حاول أن يُوجد لهذه الكلمة مخرجًا؛فذكر وجهين:

الأول: وهو لفظي، وهو قوله:كأنه عبَّر به لأجل حسن الازدواج بين يتطلَّب ويترقَّب،فرجَّح جانب اللفظ على جانب المعنى.

الثاني: وهو معنوي، وهو قوله:عبَّر به إشارة لمزيد الشوق الحاصل عند السائل، فكأنَّ ذلك السائل لمزيد الشوق الحاصل عنده كالطالب للجواب مرة بعد أخرى.

---

(١) حاشية الدسوقي – ضمن شروح التلخيص – ج ١ ص ٤٨١

قلتُ إن أساس تعريف البلاغيين،هو قول السكاكي:"تَلَقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب... أو السائل بغير ما يتطلَّب".

والزيادة عليه في كلام البلاغيين إما أن تكون توضيحًا له ،كقولهم: "بحمل كلامه على خلاف مراده "،فهو توضيح للضرب الأول ، وهو التلقِّي المذكور. وقولهم:"بتنزيل سؤاله منزلة غيره"، توضيح للضرب الثاني، وهو إجابة السائل بغير ما يسأل.

وإما أن تكون تعليلاً لهذا التلقِّي وبيانًا لفائدته وهو قولهم:"تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد " وقولهم:"تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المُهِمّ له"

صور الأسلوب الحكيم:

ومن خلال النظر في تعريف البلاغيين السابق للأسلوب الحكيم، يتبين لنا أنه يشمل صورتين من صور التعبير، هما:

الصورة الأولى: هي تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد.

وقد مثّل البلاغيون لهذه الصورة بقول القبعثري[1]

(١) القبعثري هو الغضبان بن القبعثري من رؤساء العرب وفصحائهم ،كان من جملة الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي- كرم الله وجهه- .وأصل القصة : أن القبعثري كان جالسًا في بستان مع جماعة من إخوانه في زمن الحصرم – أي العنب الأخضر- فذكر بعضهم الحجّاج ،فقال القبعثري : اللهم سوِّد وجهه،واقطع عنقه، واسقني من دمه ،فبلغ ذلك الحجَّاج فقال له :أنت قلت ذلك؟ فقال نعم. ولكن أردتُ العنب الحصرم ولم أردْك – ويريد بتسويد وجه العنب استواءه، وبقطع عنقه،قطفه،وبدمه،الخمر المُتَّخَذ منه- فقال له الحجَّاج ببديهته -متوعدًا إياه- : لأحملنَّك على الأدهم.فقال القبعثري: مِثْل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب . فقال الحجَّاج:

للحجّاج بن يوسف الثقفي،وقد قال له متوعدًا إياه:

"لأحملنَّك على الأَدهم" ، ويعني الحجَّاج في القول بالأَدهم القيد الذي هو الحديد:

" مِثْلُ الأمير يحمل على الأَدهم والأَشهب"

فأبرز القبعثري وعيد الحجَّاج بالحمل على الأَدهم – الذي هو القيد من الحديد [1]– في صورة الوعد بالحمل على الأَدهم،الذي هو الفرس الأَدهم – وهو الذي غلب سواده على بياضه حتى ذهب بياضه– .

وقد تلقَّاه في ذلك بغير ما يرتقَّب،بسبب حمل الأَدهم في كلامه على الفرس الأَدهم،وأكَّد ذلك الحمل بما يناسبه من ذكر الأشهب – وهو الفرس الذي غلب بياضه حتى ذهب سواده– فهو قرينة على أن مراده من الأدهم الذي يحمله عليه هو الفرس لا القيد.

وإنما ترك القبعثري مراد الحجَّاج بالأَدهم، تنبيهًا له على

ويلك إنه لحديد. فقال:"إن يكن حديدًا خير من أن يكون بليدا".فقال الحجَّاج عندئذ لأعوانه : احملوه. فلما حملوه قال:"سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين". فقال:اطرحوه أرضًا فلما طرحوه قال:"منها خلقناكم وفيها نعيدكم" فصفح عنه الحجَّاج وأحسن إليه على ما قيل؛ لأنه سحره بهذا الأسلوب حتى تجاوز عن جريمته وأحسن إليه. ينظر حاشية الدسوقي ج ١ ص ٤٨٠

(١) يُسمَّى القيد بالأدهم لسواده، قال الشاعر: أوعدني بالسّجن والأداهم. وقال جرير:

هو القَيْنُ وابنُ القَيْن لا قَيْنَ مثلُهُ لقطع المَسَاحي أو لجَدل الأداهم

ينظر اللسان مادة : دهم

أن الحمل على الفرس الأدهم، هو الأولى بأن يقصده من كان مثل الحجّاج،وعلى صفته في السلطان وسعة النعمة والكرم ،وكأنّه يقول له:من كان على شاكلتك وصفتك، فجدير به أن يعطي لا أن يقيد ويوثق، فقد خطّأه في وعيده ،وبيّن له أن الأليق به الوعد لا الوعيد.

قال ابن حجة الحموي:" وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير؛ إذ لا يليق بمن له همة عالية أن يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل افعل الشر "(١)

على أن الأولى بالقصد هنا منظور فيه إلى حال المتكلم- وهو الأمير- ولو كان قصده إلى أنه الأولى بالقصد نظرًا إلى المخاطب لقال: مثلي يحمل على الأدهم والأشهب. (٢)

وقد جاء في هذه القصة أيضًا أن الحجّاج بعد أن ردّ عليه القبعثري بالردّ السابق قال له:"وَيْلَك إنّه لحديد ".فقال القبعثري : " إنْ يكن حديدًا خيرٌ من أن يكون بليدًا".

فحمل الحديد أيضًا على خلاف مراد الحجّاج؛لأن الحجّاج أراد بالحديد المعدن المعروف،فحمله القبعثري على الفرس ذي الحدة ،وذلك تخطئة له، وبيانًا له على أن الأليق به الوعد لا الوعيد.

ومن هذا النوع أيضًا قول من قال مفتخرًا :

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموي ط. دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٧ م شرح عصام شعيتو ج ١ ص ٢٥٩

(٢) ينظر الأطول للعصام ج ١ ص ٤٢٤

أتتْ تشتكي عندي مُزاولةَ القِرَى ∴ وقد رأتْ الضيفانَ ينحُونَ منزِلي

فقلتُ كأني ما سمعتُ كلامها ∴ هم الضيفُ جِدِّي في قراهم وعجِّلي

فقد جاءت زوجه تشتكي مزاولة القرى – وهو ما يقدم للضيوف – لكنه واجهها بغير ما تترقّب، فأرشدها إلى أن هؤلاء ضيوف؛ ولذا فيجب عليها أن تجدَ في قراهم وتتعجل بدلاً من أن تشكو من ذلك وتتعلّل.

ونظير ذلك أيضًا قول ابن حجاج بن أحمد البغدادي: [1]

قال ثقّلتُ إذ أتيتُ مِرارًا ∴ قلتُ ثقّلتُ كاهلي بالأيادي

قال طوّلتُ قلتُ أوليتُ طَوْلا ∴ قال أبرَمتُ قلتُ حبلَ وِدادي

فإنه قد تلقَّى مخاطبه بغير ما يتوقع وينتظر،وذلك من خلال حمل كلامه – أي المخاطب – على خلاف ما يريد ، يقول له المخاطب : أنا ثقّلتُ عليك بكثرة ما أسأل ،ولكنّه يردّ عليه هذا المعنى ، ويبيّن له أن الأمر على العكس من ذلك، فأنت إنما ثقّلت كاهلي بالنعم فلك الفضل والشكر.

قال لقد طوّلت عليك وأخذت من وقتك، فيقول له لقد أوليت طَوْلاً- أي نعمًا – فيحمل كلمة (طوّلت) على غير ما قصد منها المخاطب.

(١) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي ،شاعر فكه مقتدر على المعاني التي يريدها ، كثير الهزل والفحش في شعره وله ديوان شعر كبير ،توفي سنة ٣٩١هـ

قال: أبرمتُ أي جعلتك تسأم مني وتضيق بي ،فيحملها المخاطب محملًا آخر، فيقول : إنما أبرمتُ حبل مودة وعهد صفاء.

وهذا خلق رفيع من الشاعر؛لأنّه أراد بهذا الأسلوب الرقيق أن يقي صاحبه الذلة ، ويرفع عنه الحرج من خلال تصويره في صورة صاحب الفضل لا طالبه.

ومنه أيضًا قول الشاعر:

ولقد أتيتُ لصاحبي وسألته ∴ في قرضِ دينارٍ لأمرِ كانا

فأجابني واللهِ داري ما حوَتْ ∴ عَيْنًا فقلتُ لهُ ولا إنسانا

فالمخاطب حمل كلمة (عَيْنًا)على الذهب،لكن المتكلم حملها على العين الباصرة، وأكد ما ذهب إليه بقوله "ولا إنساناً "؛ لأن الإنسان قد يراد به إنسان العين وقد يراد به أحد بني آدم وهذا ما لم يقصده المخاطب.

ومثله قول الآخر:

ولما نَعَى النّاعي سَأنثاهُ خَشْيةً ∴ وَللعَيْنِ خوفُ البَيْنِ تَسْكابُ أمطارِ

أجابَ قضى! قلنا قَضَى حاجةَ العِدا ∴ فقال مَضَى! قلنا: بِكُلِّ فَخَارِ

فقد حمل المخاطب كلمة (قضى) على إنجاز الحوائج وقضائها، أما المتكلم فقصد منها الموت، وكذلك قوله: (مضى)أراد المتكلم (مات)، وحملها المخاطب على أنه ذهب بالفضل، ولم يدع لأحد شيئًا.

فكل هذه الشواهد – وغيرها كثير– حُمِل كلام المخاطب فيها على معنى غير المعنى الذي يقصده ، وفي هذا شيء من المفاجأة والمغالطة، وفيه أيضًا شيء من الحكمة والتنبيه

اللطيف على أن الأولى بمثل المخاطب أن يكون هذا المعنى مراده لا ما ذكر.

وقد ذكرنا في مستهل حديثنا عن الأسلوب الحكيم أن عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – كان يسميه المغالطة ، وهو لم يحدّد المراد منه ، كما أنه لم يحدّد صوره.

كل ما صنعه أنه ذكر شواهد تنتمي إلى هذه الصورة التي معنا ، وأطلق عليها اسم المغالطة ، وهذه الإشارة في هذا الزمن ليست قليلة؛ لأنها بمثابة التأصيل لهذا الباب ،ولعلها مما ألهم السكاكي التسمية التي سمّاد بها،وهي :(الأسلوب الحكيم)؛لأن المغالطة لا تكون إلا من حكيم يملك ناصية القول وبحكمة تناسب الموقف.

وبالتأمل في هذه الصورة التي أطلق عبد القاهر عليها المغالطة، نجدها جديرة بهذه التسمية؛ لأن بها مغالطة أدبية طريفة، يداعب فيها المتكلم المخاطب بأسلوب رقيق جميل، يلفت فيه انتباهه إلى ما هو الأولى والأهم.

وقد ذكر السبكي عن هذا القسم أنه قريب من تجاهل العارف أو هو منه بزيادة إشارة إلى سفه رأي المخاطب، وهو قريب أيضًا من القول بالموجب[1] ، وسوف أقف مع بعض الألوان البلاغية القريبة من الأسلوب الحكيم لمحاولة التفريق بينها وبينه.

(١) عروس الأفراح – ضمن شروح التلخيص – ج ١ ص ٤٨٠ .

ومما هو جدير بالتنبيه عليه هنا ، أن قوام هذا النوع من نوعَيْ الأسلوب الحكيم عند جمهور البلاغيين على تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامه على خلاف مراده.

لكن العصام – رحمه الله – قد أشار إلى أن تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب لا يتوقف على حمل كلام المخاطب على خلاف مراده ، بل يصح أن يكون للتنبيه على أن غيره أولى بالإفادة والتخاطب به،ومن ثم فإنه يرى أن الحمل على خلاف المراد مؤنة لا حاجة إليه. (١)

وبناء على هذه الإشارة فليس شرطًا في تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب أن نحمل كلامه على خلاف ما يريد ، بل يصح لنا أن نعبر بتعبير آخر، ليس على خلاف ما يريد المخاطب ، وإنما بتعبير لا يترقّبه؛ وذلك للتنبيه على أن هذا التعبير هو أولى بالإفادة والتخاطب به.

ومن ثم فسوف تدخل في (الأسلوب الحكيم) أساليبُ بلاغية كثيرة لا يجري فيها الكلام على ما يترقّبه المخاطب ، ولم يحملها المتكلم على خلاف ما يريد المخاطب،وإنما يبنيها على أمورٍ اعتباريةٍ تنزيليةٍ يلحظها هو،ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها، ويدخل في ذلك كثير من أضرب الخبر التي يُنَزَّلُ فيها المنكر منزلة غير المنكر أو غير المنكر منزلة المنكر، أو تلك الضروب التي يؤكد فيها الكلام دون نظر إلى حال المخاطب، وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقائق،وحرصه على إذاعتها ،وتقريرها في النفوس كما

(١) الأطول ج ١ ص٤٢٤

أحسّها مقررة أكيدة في نفسه،وهذا اللون كثير جدًا في الكلام العالي الفصيح.

ومن الملاحظ أن هذه الضروب لا ينظر فيها المتكلم إلى حال المخاطب الظاهرة؛ ولذا فإنه يتلقّاه بغير ما يترقّب،ومن ثم فهي تدخل بناءً على إشارة العصام السابقة في الأسلوب الحكيم ، بل هناك كثير من الألوان البلاغية يتلقّى المتكلم فيها المخاطب بغير ما يترقّب ،ويمكن أن تدخل ضمن الأسلوب الحكيم بإشارة العصام.

ومن ثم فإنني لا أميل إلى توسعة مدلول هذا الأسلوب بهذه الصورة رغم تقديري للعصام وإشارته، وأرى أن نلتزم مع الأسلوب الحكيم باصطلاح البلاغيين فيه؛ لأن في ذلك ضبطًا للمسائل وتحديدًا للأمور، وهذا أمر مهم للغاية.

الصورة الثانية: وهي تَلَقِّي السائل بغير ما يَطْلُب.

ويكون ذلك بتنزيل سؤاله منزلة غيره، وذلك بأن يجاب بغير سؤاله تنبيهًا من المجيب للسائل على أن ذلك الجواب المُجَاب به هو الأولى بحاله، أي هو الأنسب، أو تنبيهًا على أنه المهم له، ومن ثم فهو أولى بالسؤال عنه.

فالسائل يُجَاب بغير سؤاله لأحد أمرين؛ هما:

١- التنبيه على أن هذا الجواب المُجَاب به هو الأولى بحاله.

٢- التنبيه على أن هذا الجواب المُجَاب به هو المهم له.

على أن كون الجواب المُجَاب به مُهِمًّا يستلزم كونه أولى بحالته دون العكس؛ لأنّ الشيء قد يكون أولى بالحال على تقدير التوجيه لطلبه أو غيره، ولا يكون في نفسه من جملة المهمّات التي يتأكد طلبها. (١)

(١) ينظر مواهب الفتاح لابن يعقوب – ضمن شروح التلخيص ج١ص ٤٨١

وعليه فليس الفرق بين الأَولى والمُهِمّ هو الفرق بين الأهم والمُهِمّ على اعتبار أن المُهِمّ هو الواجب والأهم هو الأوجب كما أوحى بذلك كلام العصام. (١)

لأن الأولى بمعنى الأنسب، والأنسب قد لا يكون مُهِمًّا للسائل. وعلى العكس من ذلك المُهِمُّ؛ فإنه مع كونه مُهِمًّا يكون الأنسب والأولى.

والمراد بحاله في قول البلاغيين ؛" تنبيهًا على أنه الأولى بحاله" إما السائل – وهو المخاطب – وإما المجيب – وهو المتكلم – وإما غيرهما ، ومن ثَمَّ قال العصام :" الأولى الاكتفاء بقوله:" تنبيهًا على أنه الأولى أو المُهِمّ "من غير ذكرٍ لهذا القيد؛لأنه لا فائدة من ذكره(٢) ، وأوافق العصام على هذه الملاحظة الدقيقة التي تفتح آفاقاً واسعة أمام الأسلوب الحكيم . كما أنها تجعله تربة خصبة للدلالات الثرية.

والفرق بين هذا الضرب من ضربَيْ الأسلوب الحكيم وبين الضرب السابق أن هذا الضرب مبنيّ على السؤال، بخلاف تلقّي المخاطب، فإنه ليس مبنيًّا على سؤالٍ، وهذا اعتبار دقيق في التفريق بين قسميْ الأسلوب الحكيم.

غير أن بعض البلاغيين جعل تَلَقِّي السائل بغير ما يَطْلُب مندرجًا تحت تَلَقِّي المخاطب بغير ما يترقّب، ولا تفاوت بينهما عنده إلا بحسب العبارة.

---

(١) الأطول ج ١ ص ٤٢٥

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

ومن هؤلاء البلاغيين السبكي؛إذ يقول عن هذا الضرب: " وعندي أن هذا من القسم الأول إلا أن فيه سؤالاً فهو أخصّ من هذا الوجه، وأعمّ باعتبار أنه ليس فيه حمل الكلام على غير ظاهره ، فهو بهذا الاعتبار أجدر بأن يُمثَّل له لا الذي قبله بقوله:أتت تشتكي البيتين ، و حاصله يرجع إلى العدول عن الجواب إلى غيره".(١)

فالسبكي وإن رأى أن هذا القسم من القسم الأول إلا أنه اعترف بأن بينهما فرقًا ، ومن ثم فالخلاف لفظي؛ولذا فلا داعي لمخالفة الجمهور الذي استقر على وجود القسمين دون دمجهما.

قلت إن البلاغيين ذكرُوا أن المتكلم في هذا القسم يجيب السائل بغير ما يسأل إما تنبيهًا له بأن هذا الجواب الذي أجاب به هو الأولى بحاله والأليق به، وإما لأن هذا الجواب هو الأهم له.

وقد مثلوا للأول بقول الله- جل وعلا-:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(٢)

فقد سألوا عن سبب اختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه، فأجيبوا ببيان الغرض من هذا الاختلاف ، وهو أن الأهلة بحسب ذلك الاختلاف معالم يُوقِّت بها الناس أمورهم الدنيوية من المزارع والمتاجر والديون وغير ذلك ، وأمورهم الدينية كالصوم والحج والعدة وغير ذلك.

والجواب ببيان الغرض فيه تنبيه على أن الأولى والأليق

---

(١) ينظر عروس الأفراح – ضمن شروح التلخيص – ج ١ ص٤٨١

(٢) سورة البقرة / ١٨٩

بحالهم أن يكون عندهم هذا الغرض وهذه الفائدة، لا أن يسألوا عن السبب في نفس الأمر؛ لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة ولا يتعلق لهم به غرض.

وهذا بناء على أن المسئول عنه هو السبب الموجب للوقوع ،وهو السبب الفاعلي – ولو كان الفعل هنا عاديًا– وأما إن حمل على أن المسئول عنه إنما هو السبب الغرضي والفائدة لم يكن الكلام من تلقّي السائل بغير ما يتطلّب ، وهو ظاهر. (١)

وقد اتكأ من حمل الآية على الأسلوب الحكيم على ما روي من أن معاذ بن جبل وربيعة بن غانم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ،ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا " (٢)

ونظير ذلك ما رواه أبو داود في باب مالا يجوز منعه عن امْرَأَةٌ يُقَالُ لها بُهَيْسَةُ عن أَبِيهَا قالت اسْتَأْذَنَ أبي النبي ﷺ فَدَخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَمِيصه فَجَعَلَ يُقَبِّلُ وَيَلْتَزِمُ ثُمَّ قال يا رَسُولَ اللَّه ما الشَّيْءُ الذي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ قال الْمَاءُ قال يا نَبِيَّ اللَّهِ ما الشَّيْءُ

---

(١) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي – ضمن شروح التلخيص – ج ١ ص ٤٨٣

(٢) ينظر أسباب النزول للوا حدي ط مكتبة المتنبي بالقاهرة ص ٣١ والعجاب في بيان الأسباب لشهاب الدين أبي الفضل أحمد علي تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس ط دار ابن الجوزي السعودية ط أولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م ج ١ ص ٤٥٤ ولباب النقول للسيوطي .دار إحياء العلوم بيروت. لبنان ج ١ ص ٣٥، وتفسير الو احدي تحقيق صفوان عدنان داو ودي ط دار القلم والدار الشامية دمشق بيروت ط أولى ١٤١٥هـ ج ١ ص ١٥٣

الذي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ قال الْمِلْحُ قال يا رَسُولَ اللَّهِ ما الشَّيْءُ الذي لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ قال أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ خَيْرٌ لك"[1].

فالصحابي الجليل – ﷺ– يسأل رسول الله – ﷺ – عن الشيء الذي لا يحل منعه فيجيبه عليه السلام بأمور من المنافع المشتركة التي يكثر سؤالها ، ويعظم نفعها ، ويخف على المانح بذلها ، ولكنه لم يكتف فيلح بالسؤال ،فيجيبه النبي جواباً ينبهه فيه إلى السؤال الذي كان أولى من سؤاله ، وكأنه يقول له ينبغي أن يكون سؤالك :(أي الأفعال خير لي ؟) فيكون الجواب (أن تفعل الخير خير لك) ولا شك أن هذا الضرب من البلاغة ألطف في الرد ، وأكرم للمخاطُب ، وأدل على ذوق الجيب ،؛ إذ يحمل المخاطب على الرجوع إلى نفسه ، ومقارنة السؤال والجواب ، واستنباط الحكمة من المفارقة ، حتى يوحي إليه التظليل أن السؤال المقدر كان هو الأجدر[2]

ومثّلوا للثاني بقوله تعالى :﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[3]

فقد سألوا عن بيان ما ينفقون،فأجيبوا ببيان المصارف

---

(١) سنن أبي داود تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط دار الفكر ج ٢ص ١٢٧

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية للدكتور عز الدين علي السيد ط دار اقرأ ص ٣٥٠.

(٣) سورة البقرة /٢١٥

تنبيهًا على أن المُهمّ هو السؤال عنها؛لأن النفقة لا يُعْتَدُ بها إلا أن تقع موقعها ،أما ما يُنْفَق فإن كل خير صالح للإنفاق ، وقد ذكرت الآية الكريمة هذا على سبيل التضمين دون القصد.

ويحتمل أن يكون وجه كون بيان المصارف مُهِمًّا لهم دون نفس النفقة ؛ذلك لأن نفقاتهم كانت على وجه لا قصور فيها ، لكنهم كانوا أهل تفاخر و مباهاة؛ إذ كانوا يصرفون نفقاتهم إلى الأباعد وأرباب الجاه والثروة ، ومن ثم أجيبوا ببيان المصارف تنبيهًا لهم على أن المهم في الإنفاق ذلك ؛لأن خطأهم فيه. (١)

على أن البلاغيين قد حملوا هذه الآية على الأسلوب الحكيم إذا كان السؤال في الآية عما ذكر فقط – وهو بيان جنس المُنْفَق –، وأما إن كان السؤال عن المُنْفَق وعن مَصْرِفه معاً- كما قيل إن عمرو بن الجَمُوح سأل ماذا يُنفق وأين المُنْفَق فيه فنزلت الآية(٢)- فليست من تلقّي السائل بغير ما يتطلب، وإنما هي من الجواب عن البعض صراحة وهو المَصْرِف وعن البعض الآخر ضمنًا ،وهو الجنس ؛لأن في ذكر الخير إشارة إلى أن كل مال نافع يُنْفَق منه. (٣)

ونلاحظ أن آية الأهلة مثال لما كان السؤال فيه قد وقع عمّا لا حاجة للسائلين إليه مع ترك ما هم محتاجون له، وآية الإنفاق مثال لِمَا سألوا عنه وكان مهمًّا إلا أن غيره أهمُّ منه.

---

(١) راجع الأطول للعصام ج ١ ص ٤٦٤

(٢) ينظر لباب النقول للسيوطي ج١ ص ٤١ والعجاب في بيان الأسباب ج ١ ص ٥٣٤ وتفسير الواحدي ج ١ ص١٦٣

(٣) حاشية الدسوقي – ضمن شروح التلخيص – ج ١ ص ٤٨٣

ومن ذلك القسم أيضًا أجوبة موسى – عليه الصلاة والسلام – لفرعون، والتي منها قوله تعالى:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ (١)

فقد سأل اللعين عن الجنس، فكأنه قال: أَبَشَرٌ هو أم ملَكٌ أم جِنِّيٌّ، وقد أجاب موسى – عليه السلام – بالوصف تنبيهًا لفرعون على أن هذا هو الأهم.

ومن هذا القسم أيضًا قوله تعالى:﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٢) فقد سأل الكفرة عن إرسال صالح – عليه السلام – ، وجعل الذين آمنوا قصة إرساله أمرًا غير قابلٍ للنقاش؛ وكأنهم يقولون لهم في جواب سؤالهم :بل يجب أن تسألوا أيها الكفرة : هل آمنا به أم لا؟

موضع الأسلوب الحكيم عند البلاغيين

المتفحص لكتب البلاغيين – قديمها وحديثها – يجد أن هذا الأسلوب قد درسه البلاغيون في ثلاثة مواضع في البلاغة العربية ؛ باعتبارات مختلفة،ونحاول هنا أن نشير إلى هذه الأماكن وتلك الاعتبارات التي من أجلها وضع البلاغيون هذا الأسلوب في مكانه،محاولين ترجيح أنسب الأماكن لهذا الأسلوب.

(١) سورة الشعراء / ٢٣– ٢٤

(٢) سورة الأعراف / ٧٥

الموطن الأول: ضمن موضوعات خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في علم المعاني.

وأول من فعل ذلك هو أبو يعقوب السكاكي(ت ٦٢٦هـ) ، ولعل الذي ألهمه بذلك،هو صنيع الإمام عبد القاهر الجرجاني – وإن لم يقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة – حينما أشار إليه وهو يبحث تقديم المسند إليه، وهو من أهم مسائل علم المعاني فيما بعد.

ثم تلا السكاكي الخطيب القزويني– في التلخيص والإيضاح –، وكذا معاصره محمد بن علي الجرجاني – في الإشارات والتنبيهات –،و شراح التلخيص، والسيوطي ، وكذلك كل من سار من المحدثين على منهج الخطيب وجعله أساسًا لدراسته.

والحق أن أصحاب هذا الاتجاه هم أكثر البلاغيين؛ ولذا فيحق لنا أن نعبر عنهم بالجمهور، واعتبارهم في وضعهم لهذا الأسلوب في علم المعاني، أن الكلام به يطابق مقتضى الحال.

فالمتكلم لا يقصد به زخرفة لفظية أو معنوية ،وإنما مقصوده الأهم أن يطابق به مقتضى الحال،فهو من صلب بلاغة الكلام ، وليس متممًا أو مزينًا لها، ومن ثم فإنني أميل إلى هذا الاتجاه ، وأرى أنه أنسب المواضع لدراسة هذا الأسلوب ؛لأنني أجد مناسبة بين طبيعة هذا الأسلوب ودقته، وبين علم المعاني الذي تكمن غايته في مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وكل ما يؤخذ على هذا الاتجاه أن بعض أصحابه جعله من مباحث المسند إليه[1] ،وهو ليس كذلك ؛ وقد فطن إلى ذلك السعد

---

(١) بحوث المطابقة لمقتضى الحال للدكتور علي البدري القسم الأول ص ٢٠٣

ونبّه عليه [1] ؛ومن ثم فإنني أرى أن يفصل باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر عن مباحث المسند إليه، حتى لا يحدث هذا الخلط.

الموضع الثاني: دراسته ضمن موضوعات علم البديع

ذكر الدكتور الصامل أن أول من أدرجه في موضوعات علم البديع هو شرف الدين الطيبي(ت٧٤٣هـ) ؛إذ جعله من التحسين الراجع إلى المعنى ،وجعل الالتفات والتغليب معه أيضًا في هذا الباب.

وقد سار عدد من المعاصرين على هذا النهج فدرس الأسلوب الحكيم ضمن موضوعات علم البديع.

وذكر أن الأسباب التي دفعتهم إلى دراسة هذا الأسلوب في علم البديع هي:

١- علاقته الوثيقة ببعض موضوعات علم البديع كالتورية والمغالطة المعنوية والقول بالموجب.

٢- ما حدث من خلط بينه وبين القول بالموجب.

٣- أن بعض العلماء نظر إلى ما تحدثه بعض الأساليب من حسن فأدرجوها ضمن مباحث البديع، وذلك كالاستعارة، والالتفات، والتغليب ، والقسم. [2]

فالاعتبار الأساسي لوضع الأسلوب الحكيم في علم البديع إما الخلط بينه وبين غيره من ألوان البديع.

وإما مراعاة ما يحدثه هذا الأسلوب في الكلام من حسن، شأنه في ذلك شأن بعض الأساليب الأخرى التي عددنا بعضها.

---

(١) انظر المطول ص ١٣٥

(٢) راجع الأسلوب الحكيم مع تحقيق رسالة لابن كمال باشا فيه ص ٣٩

الموطن الثالث: دراسته في باب الاستفهام

أما الموطن الثالث الذي درس البلاغيون فيه الأسلوب الحكيم فهو مبحث الاستفهام، وهذا المبحث جزء من الأساليب الإنشائية الطلبية التي هي باب من أبواب علم المعاني.

وأول من صنع ذلك – حسب علمي – بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ) حينما ذكر في آخر باب الاستفهام أن مقتضى الاستفهام جواب مطابق فلا تخل به إلا لتوخي نكتة كما في قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾[1]

قالوا : ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط ،ثم يزيد حتى يستوي، ثم ينقص حتى يعود كما بدأ؟

فأجيبوا بما ترى تنزيلاً للسؤال منزلة غيره للتنبيه بألطف وجه على تعدي السائل سؤالاً هو أليق بحاله أو أهم.

ومثله قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[2]

سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف ، وإن هذا الأسلوب لربما صادف الموقع فحرك نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور"[3]

هذا هو كلام ابن مالك ومن الملاحظ عليه أنه عين الأسلوب

---

(١) سورة البقرة / ١٨٩

(٢)البقرة / ٢١٥

(٣) ينظر المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك تحقيق الدكتور حسني عبد الجليل ط مكتبة الآداب بالجماميز ص ٨٩.

الحكيم وإن لم يصرح به، وهو متأثر فيه إلى حد كبير بالسكاكي.

كما يلاحظ على ابن مالك أنه وإن ذكر الأسلوب الحكيم في هذا الموضع لكنه لم يقصده قصدًا؛ ولذا فإنه لم يصرح به.

ومما يؤكد هذا الكلام أنه لم يستوعب حالات الأسلوب الحكيم ، وإنما اقتصر على قسم واحد من قسميْه ،وهو إجابة السائل بغير ما يسأل ؛ وقد ذكره استطرادًا لحالات الجواب مع السؤال.

كما أنه لم يسمه باسمه،وإنما الذي صرح باسمه وأشار إليه صراحة هو مختصر كتاب ابن مالك ،وهو ابن النحوية (ت٧١٨هـ) فقد عقب على كلام ابن مالك السابق بقوله:"وهذا الأسلوب من الكلام تلقّي المخاطب بغير ما يترقب تنبيهًا له على خطابه،وهو المسمَّى عندهم بالأسلوب الحكيم "[1]

ومن ثم يتجلى لنا أن دراسة الأسلوب الحكيم في هذا الموطن ليست كافية به؛ لأنها تقتصر على دراسة شق واحد من شقيه، كما أنها كانت استطرادًا وليست قصدًا.

كذلك يتجلى لنا من خلال وقوفنا مع المواضع التي درس البلاغيون فيها الأسلوب الحكيم – أن أدق موضع يدرس فيه هذا الأسلوب هو الموضع الأول وهو باب الخروج على خلاف مقتضى الظاهر في علم المعاني.

---

(١) إسفار الصباح الكاشف عن ضوء المصباح لبدر الدين محمد بن يعقوب بن النحوية نسخة مخطوطة مصورة عن نسخة تعز :١٩٤ ا نقلاً عن الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية مع تحقيق رسالة لابن كمال باشا للدكتور محمد الصامل ص ٤١

بين الأسلوب الحكيم وبعض الألوان البلاغية الأخرى

من خلال وقوفنا على رحلة تطور الأسلوب الحكيم من أولها إلى آخرها نجد – بسبب طول هذه الرحلة ، وأواصر القربى بين هذا الأسلوب وبين بعض الأساليب الأخرى في الأصل والمفهوم والأمثلة- تداخلًا وخلطًا بينه وبين بعض الأساليب الأخرى ، خصوصًا البديعية ،وذلك كالقول بالموجب ، والتورية ، والمشاكلة ، والمغالطة، والإلغاز و الأحاجي ، وتجاهل العارف.

ونحاول في هذا المبحث أن نقف على العلاقة بين هذا الأسلوب وبين غيره من الأساليب البلاغية، كما نحاول أن نحرر الفرق بينه وبين هذه الأساليب.

١ـ الإلغاز والمغالطة.

فقد رأينا أن هذين المصطلحين كانا في مراحل تطور هذا الأسلوب؛ إذ بحثه الجاحظ تحت اسم اللغز في الجواب[١] ،وأطلق عليه عبد القاهر الجرجاني اسم المغالطة[٢]، ثم صار بعد ذلك مصطلحين بديعيين عند ابن الأثير والعلوي وغيرهما.

فقد أطلق ابن الأثير الألغاز على الأحاجي، وذكر أنه قد يسمى أيضًا المُعَمَّى.

وقال في تعريفها : إنها الأغاليط من الكلام وتسمى الألغاز جمع لُغَز، وهو الطريق الذي يلتوي ويشكل على سالكه ، وقيل جمع لَغز – بفتح اللام – وهو ميلك بالشيء عن وجهه.

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤٨ .

(٢) دلائل الإعجاز ص١٣٨ .

ثم أشار إلى أن هذا النوع يشتبه تارة بالكناية، وأخرى بالتعريض ، وطورًا آخر بالمغالطات المعنوية ، وأن عامة أرباب الفن قد وقعوا في هذا التخليط ، ثم ساق أمثلة لما وقع فيه أبو الفرج الأصفهاني والحريري من ذلك ، ثم خلص من ذلك إلى أنه وجد من الكلام ما يطلق عليه الكناية ، ومنه ما يطلق عليه التعريض ، ومنه ما يطلق عليه المغالطة ، ومنه شيء آخر خارج عن ذلك فجعل لغزًا وأحجية ، وإذ قد سلف تحديد هذه الأنواع جميعًا ما عدا الأخير فقد مضى يحدده فقال:

وأما اللغز والأحجية فإنهما شيء واحد ،وهو كل معنى يُسْتَخْرَجُ بالحَدْس والحزْر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازًا ولا يفهم من عرضه ؛لأنّ قول القائل في الضرس:

وصَاحبٍ لا آملُ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ∴ يَشْقَى لِنَفْعِي ويَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
مَا إنْ رأيتُ له شَخْصًا فَمُذْ وَقَعَتْ ∴ عَيْنِي عَلَيْهِ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأَبَدِ

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة، ولا من طريق المجاز، ولا من طريق المفهوم ، وإنما هو شيء يحدس ويحرز، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه، ثم مضى ينوع اللغز والأحجية... (١)

على أن ابن الأثير مسبوق بهذه المصطلحات جميعًا، فقد سبق الحريري المتوفى سنة ٥١٦هـ إلى الأحاجي، وأما الإلغاز فأول من أطلق عليه هذا الاسم الخليل بن أحمد.

وابن أبي الإصبع ذكر الألغاز والتعمية، وذكر أنه يُسمى

(١) ينظر المثل السائر ج ٢ ص ٢١١ وما بعدها، والصبغ البديعي للدكتور أحمد موسى ص ٢٧٢ وما بعدها

المحاجاة، كما ذكر أن التعمية أعمّ أسمائه، وعرَّفه بقوله:

"هو أن يريد المتكلم شيئًا فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه ويكون في النثر والشعر".(١)

والعلوي – رحمه الله – تعرَّض للإلغاز، وفرَّق بينه وبين المغالطة المعنوية، وجعلهما قسمين للتورية، وذكر في التفرقة بينهما أن المغالطة،إنما تكون بالألفاظ المشتركة ، وهي دالة على أحدهما على جهة البدلية وضعًا وقد يرادان جميعًا بالقصد والنية.

وهذا بخلاف الإلغاز؛ فإنه ليس دالًا على معنيين بطريق الاشتراك، ولكنه دال على معنى من جهة لفظه، وعلى المعنى الآخر من جهة الحدس لا بطريق اللفظ، فافترقا بما ذكرنا.

وقد ذكر عدة أمثلة للتفريق بينهما، كما عرَّفه بتعريف ابن الأثير. (٢)

٢ـ التورية والمشاكلة:

التورية مصدر وريّتُ الخبر إذا سترته وأظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر و حدها "أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما". (٣) والمشاكلة لغة المماثلة، واصطلاحاً ذكر الشيء

---

(١) تحرير التحبير ص ٥٧٩ و الصبغ البديعي ص ٢٦٤

(٢) الطراز ج ٣ ص ٦٢ وما بعدها

(٣) الإيضاح للخطيب القزويني. ط . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح بمصر ص ٢٠١ وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ص ١١٢

بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[1]

وتوجد بين التورية والمشاكلة وبين الأسلوب الحكيم علاقة قوية ومتينة ،هذه العلاقة تبنى على التآزر والتعاون وليست على التبادل ، ذلك لأن الأسلوب الحكيم قد يقوم عليهما ؛ وذلك إذا كان العدول أو التلقي بغير المرتقب عن طريقهما ، والعلاقة بينهما حينئذ تعضد الأسلوب الحكيم وتقويه ؛ لأنه يقوم عليهما.

وبالوقوف مع بعض الأمثلة التي يتكئ الأسلوب الحكيم فيها على التورية والمشاكلة يتضح ذلك.

اقرأ محاورة الغضبان بن القبعثري للحجاج بن يوسف الثقفي ، وتأمّل في كلماتها:

قال الحجاج لابن القبعثري :لأحملنَّك على الأدْهَم.

قال ابن القبعثري :مثْلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب.

قال الحجاج: ويلك إنه حديد.

قال: ابن القبعثري :لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا.

فقد توعّده الحجاج بالحمل في القيد من الحديد ،وتلقّاه بحمل الوعيد على الوعد،والذي ساعده على ذلك، التورية ؛ إذ كانت المَعْبَر إلى الأسلوب الحكيم ؛ لأن كلمتي : " الأدهم" و" الحديد" لكل منهما معنيان ، أراد الحجاج منهما معنى ، وأراد الغضبان المعنى الآخر، ذلك لأن كلمة الأدهم تطلق على القيد وعلى الفرس ، وكلمة الحديد- هي الأخرى - تصلح أن تكون وصفًا للقيد ،وتصلح أن تكون وصفًا للفرس.

---

(١) الإيضاح ص ١٩٨ وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص ١١٠

فالتورية بناء على هذا وسيلة المتحاورين إلى الأسلوب الحكيم، ولا يعني وجود التورية مع الأسلوب الحكيم أنها بديلة له، وإنما لكلٍ منهما اعتباره، وكل منهما أصلي.

فالأسلوب الحكيم يتمثّل في إجابتي ابن القبعثري المعتمدتين على عبارتي الحجاج.

وأما التورية فهي متمثلة في كلمتي :" الأدهم" و" حديد" ؛ لأن لكلٍ منهما معنيين ، أراد الحجاج من كل منهما معنى، وتلقاه ابن القبعثري بمعنى آخر.

وقد استطاع ابن القبعثري أن يسخّر التورية ليعبُر من خلالها إلى الأسلوب الحكيم .

ومن ثم يتبين لنا أن التورية تعضد الأسلوب الحكيم ولا تتداخل معه أو تشتبه به، وقد ذهب الدكتور الصامل إلى أن هذا الاقتران أو التعاضد هو السبب في تسمية عبد القاهر لهذا النوع بالمغالطة ؛ لأن عملية المغالطة تمت عن طريق التورية ؛ إذ كانت إحدى الوسائل التي اعتمد عليها الأسلوب الحكيم. (١)

هذا فيما يخص علاقة التورية بالأسلوب الحكيم، أما فيما يخص علاقة المشاكلة به؛ فإنها تتضح لنا من خلال وقوفنا مع شاهد اعتبره البلاغيون من شواهد المشاكلة ووقف السبكي – رحمه الله – معه واعتبره من القول بالموجب أو الأسلوب الحكيم حينما قال عن الضرب الثاني من القول بالموجب:

" واعلم أن هذا الضرب الثاني من القول بالموجب هو الأسلوب الحكيم المذكور في علم المعاني، والذي يظهر أن من

(١) الأسلوب الحكيم للدكتور الصامل ص ٣٦

القول بالموجب قوله:

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ∴ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

لأنه قال بموجب قولهم فأجاب بتعيين المطبوخ ، كما سألوه وحمل اللفظ الواقع منهم على غير مرادهم فإنهم أرادوا حقيقة الطبخ ، فحمله على مطلق الصنع الذي هو أعمُّ من الطَّبخ والخياطة،فطلب فردًا من أفراد ذلك النوع وهو الخياطة وسمَّاها طبخًا مجازًا كما سبق. (١)

وما ذكره السبكي حول هذا الشاهد هنا لا يعتبر بديلاً لما ذهب إليه البلاغيون في باب المشاكلة؛وإنما هي نظرة أخرى باعتبار آخر.

فقد وضع الشاعر كلمة :" اطبخوا لي " مكان " خيطوا لي" ليشاكل بها لفظ " الطَّبخ " السابق ، وهو بهذا قد تلقَّى المخاطب بغير ما يترقَّب ، أوقع الطبخ مكان الخياطة لينبه المخاطب إلى أن هذا هو الأهم بالنسبة له من الطبخ الحقيقي ، وقد ذكر المتعلق وهو "جبة وقميصًا"

وعلاقة المشاكلة بالأسلوب الحكيم حينئذ علاقة تعاوُن وتآزر؛ لأنها كانت أيضًا المَعْبَر إلى الأسلوب الحكيم ، ولكل منهما اعتباره ، فالمشاكلة تكمن في ذكر الشيء بلفظ غير مُرَاد لوقوعه في صحبته ، والأسلوب الحكيم يكمن في تلقِّي المخاطب – ولو كان اعتباريًا – بغير ما يترقَّب.

---

(١) عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي – ضمن شروح التلخيص – ج٤ ص ٤٠٩ .

ونظير ذلك قول الآخر:

قالوا:اتّخِذْ دُهْنًا لِقَمْلِكَ يَشْفِهِ .. قلتُ: ادهنُوه بخَدِّهَا المُتَوَرِّد

فقد وضع :" ادهنوه" مكان : " متعوه" لمشاكلة : " دُهْنًا" السابق ، وهو بهذه المشاكلة قد تلقّى المخاطب بغير ما يتوقّع ويترقّب، فالعلاقة بين الأسلوبين – كما نرى – علاقة تعاضد وتآزر، إذ يقوم الأسلوب الحكيم على المشاكلة.

٣ـ الأسلوب الحكيم وتجاهل العارف

أما فيما يخص علاقة الأسلوب الحكيم بتجاهل العارف ، فأول من أشار إلى ذلك السبكي – رحمه الله – ؛ إذ ذكر وهو يتحدث عن القول بالموجب :" ولاشك أنه أيضًا نوع من تجاهل العارف وفيه لطف باعتبار الرد على المتكلم على وجه بلغ الغاية في التأدب وعدم المواجهة بالرد... واعلم أن هذا الضرب الثاني من القول بالموجب هو الأسلوب الحكيم المذكور في علم المعاني..." [١]

فقد أشار السبكي إلى وجود علاقة بين الأسلوب الحكيم وتجاهل العارف – وإن لم يحددها – ولكنه لم يفرق بينهما.

وقد حذا حذو السبكي بعض الباحثين حيث أشار إلى قرب تجاهل العارف من الأسلوب الحكيم ،ورأى أن يوضع في علم المعاني ؛ لأنه إلى أبوابه أقرب وبموضعه ألصق . [٢]

والحق أن ثمة علاقة بين الأسلوبين ، هذه العلاقة تكمن

---

(١) انظر عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٠٩

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)للدكتور فضل حسن عباس ط . دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان. الأردن ص ٢٩٥ وراجع الأسلوب الحكيم للصامل ص ٣٤ومابعدها .

في أن كليهما من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر،أي أن هذه العلاقة تقوم على المشابهة فقط ، وكل أسلوب منهما مستقل عن الآخر تمامًا، ونستطيع أن نميز كلًا منهما عن الآخر من خلال وقوفنا على تعريفي الأسلوبين .

الأسلوب الحكيم : هو تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب بحمل كلامه على خلاف مراده أو السائل بغير ما يسأل بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا له على الأهم أو الأولى بحاله.

وتجاهل العارف: هو سؤال المتكلم عمّا يعلمه حقيقة تجاهلًا منه به، يخرج كلامه مخرج المدح أو الذم،أو التعظيم أو التحقير أو التعريض أو ليدلّ على شدة التدلُّه في الحب، أو لقصد التعجب، أو التقرير أو التوبيخ أو غير ذلك. ومن ألطف ما في هذا الباب قوله: (١)

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ∴ ليلاي منكن أم ليلى من البشر

ومن خلال تدبر التعريفين نستطيع أن نضع أيدينا على أهم ما يفرق بين الأسلوبين ويميز كلاً من الآخر – بعد أن عرفنا ما يقرب بينهما – وهو بإيجاز:

١- الأسلوب الحكيم من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو من مباحث علم المعاني.

(١) تحرير التحبير ص ١٣٥وراجع الحُلّة السّيَرا في مدح خير الورى لابن جابر الأندلسي تحقيق علي أبو زيد ط عالم الكتب بيروت .الطبعة الثانية ١٤٠٥- ١٩٨٥م ص ١٤٤. وطالع السعد الرفيع في شرح نور البديع على نظم البديع للشيخ عبد الحميد قدس بن محمد بن الخطيب ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ص٢٨

وأما تجاهل العارف فهو مُحَسِّنٌ معنوي من مسائل علم البديع.

٢- الأسلوب الحكيم يكون بين متحاورين متكلم ومخاطب أو سائل ومجيب، أما تجاهل العارف فهو بين سائل ومجيب فقط.

٣- في الأسلوب الحكيم المخاطب هو المصدر؛ لأنه هو الذي يتلقَّى المتكلم بغير ما يترقَّب على الراجح.

أما في تجاهل العارف فإن المتكلم - وهو السائل - هو المصدر؛ لأنه هو الذي يتجاهل ويسوق المعلوم مساق المجهول.

٤- في الأسلوب الحكيم يجاب السائل بغير ما يسأل، أما في تجاهل العارف، فإن المطلوب هو الجواب عن السؤال.

٥- ينحصر الغرض من الأسلوب الحكيم في تنبيه المخاطب على أن الكلام الذي أُلْقِي إليه - وإن لم ينتظره - سواء أكان جوابًا أم غيره، هو الأهم له أو الأولى بحاله، فمحوره كما ترى المخاطب.

وأما تجاهل العارف فأغراضه كثيرة، قد عدَّد بعضها ابن أبي الإصبع في التعريف السابق، ومحورها- كما ترى- المتكلم نفسه.

هذه هي العلاقة بين الأسلوب الحكيم وتجاهل العارف، وهذا هو الفرق بينهما.

٤- الأسلوب الحكيم والقول بالموجب

سبق أن وقفنا على نشأة الأسلوب الحكيم ،وعرفنا أن أول من أشار إليه هو الجاحظ ، وظل هذا الأسلوب يتطور إلى أن استقر أمره على يد السكاكي ،مصطلحًا، وتعريفًا، وشواهد.

ثم ظهر مصطلح آخر بديعي ابتكره ابن الإصبع المصري (٦٥٤هـ) وسمَّاه "القول بالموجب" بكسر الجيم – اسم فاعل –؛ إن أريد به الصفة الموجبة للحكم، و بفتح الجيم – اسم مفعول – إن أريد به القول بالحكم الذي أوجبته الصفة.

والمراد بالقول الاعتراف أي اعتراف المتكلم بالصفة الموجبة للحكم في كلام المخاطب مع كونه نافيًا لمقصوده من إثباتها لغير من أثبتها له المخاطب أو مع حمل كلامه على خلاف مقصوده. (١)

وهذا اللون – في ضربه الثاني – عين "الأسلوب الحكيم" في ضابطه وشواهده.

وهذا مما جعل كثيرًا من البلاغيين – خصوصًا أصحاب البديعيات – يخلطون بين اللونين ، فهذا ابن الرعيني (ت ٧٧٩هـ) لما ذكر القول بالموجب قال: ويقال له الأسلوب الحكيم "(٢)وقد تبعه في ذلك ابن حجة الحموي(ت ٨٣٧هـ)(٣) ، وفعل مثلهما ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) (٤) إلا أنه فرّق بينهما كما سيأتي.

ولم يقف الأمر عند السابقين ، بل حذا بعض المعاصرين حذو الرعيني وابن حجة فجعلوا الأسلوب الحكيم مصطلحًا آخر

---

(١) راجع حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٤٠٦

(٢) طراز الحلة وشفاء الغلة لأبي جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي تحقيق د رجاء السيد الجوهري ط مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية مصر ص ٦٢١

(٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموي ج ١ ص ٢٥٨

(٤) أنوار الربيع ج ٢ ص ١٩٨

للقول بالموجب[1] وهذا يعني أن أحد المصطلحين يقوم مقام الآخر ، وإن كان الأصل عندهم جميعًا هو القول بالموجب"
وهذا ما يجعلنا نقف لنبين أواصر القربى بين هذين اللونين كما نحاول أن نضع أيدينا على ما يميز بينهما.
وفي سبيل تحقيق ذلك نقف على أصل القول بالموجب، ومفهومه.

أما عن أصل هذا اللون البلاغي – فإنه وإن كان نوعًا من أنواع البديع – فإن أرباب البلاغة أخذوه مسلمًا من العلماء بأصول الفقه ،ومن ثم فهم كالعيال عليهم ، وقد أشار إلى ذلك من البلاغيين السبكي ، والصفدي. [2]

ومفهومه عند الأصوليين تسليم الدليل مع بقاء النزاع [3]،قال الآمدي – رحمه الله –:"و حاصله يرجع إلى تسليم ما اتخذه المستدل حكمًا لدليله على وجه لا يلزم منه تسليم الحكم المتنازع فيه..." [4]

---

(١) ينظر زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للشيخ أحمد الحملاوي تحقيق مجدي فتحي السيد ط المكتبة التوفيقية بمصر ص ١٥٦ وطالع السعد الرفيع في شرح نور البديع على نظم البديع للشيخ عبد الحميد قدس ص ٣٨ و البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم البديع) د بكري شيخ أمين. ط. دار العلم للملايين. بيروت .لبنان. ط. ثانية ١٩٩١م ص ١٠٤.

(٢) ينظر عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٠٦، والهول المعجب في القول بالموجب للصفدي تحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين ط. دار الآفاق العربية القاهرة ط. أولى ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٥م ص ٦٢

(٣) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٠٦

(٤) الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي تحقيق د .سيد الجميلي .دار الكتاب العربي . بيروت . ط. أولى. ١٤٠٤هـ

أما عن مفهومه عند علماء البلاغة فقد عرَّفه ابن أبي الإصبع بقوله :"هو أن يخاطب المتكلم مخاطبًا بكلام فيعمد المخاطب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم[1] ، وذلك عين القول بالموجب ،لأن حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه كقول ابن حجاج البغدادي:

قلتُ: طوّلتْ قال لي:بل تطوّلتْ ∴ وأبرمتَ قلتُ:حبل ودادي

ومن شواهده أيضًا:

إنْ قالَ:قدْ ضاعَتْ فيصدقُ أنّها ∴ ضاعَتْ ولكنْ منكَ يعْني لوَ تَعي

أوْ قالَ:قدْ وَقَعَتْ فيصدقُ أنّها ∴ وَقَعَتْ ولكنْ منهُ أحسنُ موْقعِ[2]

هذا هو تعريف ابن أبي الإصبع للقول بالموجب ،ونلاحظ عليه أنه عين الأسلوب الحكيم ،ولعل هذا ما دفع إلى الخلط بين اللونين، ثم تناول هذا الفن – بعد مبتكره – بالتمثيل ،والشرح أبو الثناء محمود في كتابه :" حسن التوسل في صناعة الترسل" وهو من الكتب التي قرأها الصفدي على مؤلفه ،،،ورواد عنه بالإجازة ، وجعله ضربين:

أحدهما: أن يقع صفة في كلام مُدَّعٍ شيئًا ، يعني به نفسه ، فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له، ولا

---

(١) تحرير التحبير ص ٥٩٩

(٢)البيتان لابن الدُّوَيْدَة المغربي في رجل أودع بعض القضاة مالا فادعى ضياعه. ينظر تحبير التحبير ص٥٩٩ ، و القول المعجب في القول بالموجب ص٨٩

لنفيها عنه ، ومثّل له بقوله تعالى:﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

فقد حكى الله – تعالى – عن المنافقين كلامًا وقعت منه صفة، هي لفظ (الأعز) ،حال كونها كناية عن فريق المنافقين ، كما أن الأذل في زعمهم كناية عن فريق المؤمنين، وأثبت فيه لفريق المنافقين الذي هو المكني عنه حكم الإخراج من المدينة لعزته في زعمهم؛ فأثبت الله – تعالى – في الرد عليهم العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم(٢)

على أن المراد بالكناية هنا اللفظ الدال على المعنى بوجه من الإجمال ،كما دل الأعز على فريق مخصوص في استعمالهم ؛ لا الكناية المصطلح عليها، وهو اللفظ المستعمل لازم معناه مع جواز إرادة الملزوم ؛ إذ لا لزوم بين مفهوم الأعز وفريق المنافقين.

ويحتمل أن يراد بها معناها المعهود، ويكفي في اللزوم اعتقادهم اللزوم وادعاؤهم ذلك ، وقد تقدم أن اللفظ المشتق يكون كناية باعتبار مفهومه عن اللازم ،الذي هو المصدوق ،ولا ينافي ذلك كون الحكم هنا للعزة وبسببها ؛ لأن المحكوم عليه هو

(١) سورة المنافقون / ٨

(٢) شروح التلخيص ج٤ ص ٤٠٧

المصدوق بخصوصه ، وإن كانت العزة سبب ثبوت الحكم له. [1]

والضرب الثاني من ضربي القول بالموجب هو:حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه.

وذلك كما لو أطلق الغير لفظًا على معنى فيحمله غير من أطلقه على معنى آخر، لم يرده المتكلم الأول حال كون خلاف المراد من المعاني التي يحتملها ذلك اللفظ احتمالًا حقيقيًا أو مجازيًا بأن يكون اللفظ صالحًا لذلك المعنى الذي حمل عليه وإن كان لم يرد ، فلو كان اللفظ غير صالح له كان الحمل عليه عبثًا لا بديعًا[2]

وقوله : " بذكر متعلقه " أي متعلق ذلك اللفظ ، أي إنما يحمل على خلاف مراده بأن يذكر متعلق ذلك اللفظ .

والمراد بالمتعلق هنا ما يناسب المحمول عليه سواء كان متعلقًا اصطلاحيًا – كالمفعول والجار والمجرور – أولًا.

فالأول كقوله :

قُلتُ: ثَقَّلتُ إذ أتَيتُ مِرارًا ∴ قال: ثقّلتَ كاهِلي بالأيادِي

قُلتُ: طَوّلتَ قالَ: لا بَل تَطَوّلـ ∴ تَ وأبرَمتُ قالَ: حَبلَ وِدادِي

فقوله(ثقّلت) وقع في كلام الغير ،وهو بمعنى حملتك المؤنة والمشقة بإتياني مرات عديدة ، فحمله المخاطب فيما حكى

(١) راجع مواهب الفتاح ج ٤ ص ٤٠٨ وحاشية الدسوقي ج ٤ ص ٤٠٦– ضمن شروح التلخيص – .

(٢) حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٤٠٨

المتكلم على التثقيل على كاهله بالأيادي والمنَن بذكر متعلقه ، وهو المفعول مع المجرور ؛أعني قوله " كاهلي بالأيادي".

والكاهل: ما بين الكتفين، والأيادي: النعم، جعل إتيانه نعمًا عديدةً حتى ثقلتْ كاهله.

ولا يخفى ما في (أبْرَمتُ) من مثل ما ذكر في(ثقَّلتُ)؛ لأن المراد به التضييق، وحمله على إحكام الوداد. فإنه قال بموجب قوله في(ثقَّلت) ، وفي(أبرمت) ، ولكنه صرفه إلى غير مقصود المتكلم وحمله على غير مراده.

والثاني في قول محاسن الشواء[1] :

وَقَدْ بُهِتُوا لَمَّا رَأَونِيَ شَاحِبًا ∴ وَقَالُوا بِهِ عَيْنٌ، فَقُلْتُ وَعَارِضُ

أرادوا بالعين إصابة العائن ،وحمله على إصابته عين المعشوق بذكر ملائم ، وهو العارض في الأسنان ، التي هي كالبرد فكأنه قال:صدقتم بأن بي عينًا، لكن بي عينها وعارضها لا عينُ العائن، ووجه كون هذا الضرب من القول بالموجب ظاهر كالأول ؛لأنه اعترف بما ذكر المخاطب لكن المعنى غير مراد.

وقد فهم من البيتين أن الحمل على خلاف المراد تارة يكون بإعادة المحمول، كما في البيت المذكور في المتن، وكما في قول بعضهم:

جَاءَ أَهْلِي لَمَّا رَأَونِي عَلِيلًا ∴ بِحَكِيمٍ لِشَرْحِ دَائِي يُسَعِفُ

(١) أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي، شهاب الدين ،الشواء، المعروف بابن الكوفي (٥٦٢- ٦٣٥هـ)شاعر أديب مولده ووفاته في حلب. انظر الهول المعجب في القول بالموجب للصفدي تحقيق د محمد عبد المجيد لاشين ص ١٢٧وخزانة الأدب للحموي ج ١ ص ٢٥٩ والأعلام للزر كلي ج ٨ ص ٢١٧

قَالَ هَذَا بِهِ إِصَابَةُ عَيْنِ ∴ قُلْتُ عَيْنُ الْحَبِيبِ إِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ

وتارة يكون بدون إعادته كما في البيت الذي ذكرناه. (١)

فهذا الضرب من ضربي القول بالموجب، هو الأسلوب الحكيم المذكور في علم المعاني.

وقد نقل الصفدي أمثلة أبي الثناء شهاب الدين محمود الحلبي ، وتقسيمه ، وعنهما تناقلهما البلاغيون من بعدهما ، مثل القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، والسبكي (ت ٧٧٣هـ) ، والتفتازاني (ت ٧٩١هـ) ، والمغربي(ت١١٢٨هـ) ، والدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) ، وكذلك أصحاب البديعيات الذين نظموا في هذا الفن ، وشرحوا نظمهم بأنفسهم ، أو شرحه غيرهم ، وفي الشروح استشهدوا بأمثلة الصفدي .

وبعد هذا العرض الموجز للقول بالموجب، وتطوره عند البلاغيين، تتجلَّى لنا أوجه التشابه بينه وبين الأسلوب الحكيم، وكذلك أوجه التبيان بينهما.

أما عن أوجه التشابه فإن كلا اللونين من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، كما نلاحظ أن ضابط الأسلوب الحكيم – كما أشار السبكي – عين الضرب الثاني من القول بالموجب ، ومن ثم فإن الأمثلة واحدة،يتبادلها البلاغيون بين اللونين ؛ولا ضير في ذلك لأن بعض الأمثلة تصلح للنوعين معًا ؛ إذ كل واحد منهما ينظر إليه من وجه غير الآخر ،وكثيرًا ما يصلح المثال الواحد لعدد من الأنواع البلاغية لتعدد

(١) راجع مواهب الفتاح ج ٤ ص ٤٠٩ وحاشية الدسوقي ج ٤ ص ٤٠٨.

الاعتبارات التي ينظر من خلالها للأمثلة.

أما عن التباين بينهما فإن علماءنا الأجلاء قد صرحوا به وقرروه ،وتجلى ذلك في صنيع الخطيب القزويني حينما ذكر الأسلوب الحكيم في علم المعاني متابعاً في ذلك السكاكي، وذكر القول بالموجب مع فنون البديع، وتبعه في ذلك من البلاغيين من سار على خطاه وعكف على تلخيصه للمفتاح بالشرح والتوضيح.

و يأتي ابن معصوم المدني ويقرر هذا التباين بينهما؛ فيقول عن القول بالموجب :" وهذا نوع من البديع غريب المعنى ، لطيف المبنى ، راجح الوزن في معيار البلاغة ، مفرغ الحسن في قالب الصياغة ، هو والأسلوب الحكيم رضيعا لبان ، وفرسا رهان حتى زعم بعضهم أن أحدهما عين الآخر وليس كذلك"(١)

ولم يكتف ابن معصوم بهذا ، بل بيّن الفرق بينهما بقوله :" هذا النوع – أعني القول بالموجب – يشترك هو والأسلوب الحكيم في كون كل منهما من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، ويفترقان باعتبار الغاية ، فإن القول بالموجب غايته رد كلام المتكلم ، وعكس معناه ، والأسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له. (٢)

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني تحقيق شاكر هادي شكر ج ٢ ص ٢٠٩ نقلا عن الأسلوب للدكتور الصامل.ص ٢٢

(٢) المرجع السابق

كما أشار ابن كمال باشا في آخر رسالته التي كتبها عن الأسلوب الحكيم إلى أن القول بالموجب – وإن لم يصرح باسمه – ليس الأسلوب الحكيم، وذلك لما ذكر مثالًا من أمثلة القول بالموجب تنبيهًا إلى أنه ليس من الأسلوب الحكيم. (١)

وسوف أحاول أن أحصر أوجه التباين بين هذين اللونين فيما يأتي:

١- الأسلوب الحكيم أسلوب بلاغي في الأصل فطن إليه علماء العربية منذ القدم ، أما القول بالموجب ، فإنه مبحث أصولي في الأصل تسلَّمه البلاغيون من الأصوليين ، وأدرجوه ضمن مباحث علم البديع .

وقد ذكر العلامة السبكي – يرحمه الله – : " أن القول بالموجب عند الأصوليين مغاير للقول بالموجب عند البيانيين، فالقول بالموجب عند الأصوليين هو تسليم الدليل مع بقاء النزاع"(٢)

٢- الأسلوب الحكيم – عند جمهور البلاغيين – من مباحث علم المعاني ؛ لأن الكلام يطابق به مقتضى الحال.

أما القول بالموجب فهو من البديع المعنوي الذي يعود فيه الحسن إلى المعنى أولًا ثم إلى اللفظ.

٣- للأسلوب الحكيم ضربان ،هما:

---

(١) تحقيق رسالة ابن كمال باشا للدكتور الصامل ص ١٣١

(٢) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٠٦

أ – تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامه على غير خلاف مراده.

ب – إجابة السائل بغير ما يسأل بتنزيل سؤاله منزلة غيره.

وللقول بالموجب ضربان ، هما :

أ- أن تقع صفة في كلام مدع شيئًا، يعني به نفسه، فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له، ولا لنفيها عنه.

ب – حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده بما يحتمله ذلك اللفظ بذكر متعلقه.

فهما يتشابهان في ضرب ، ويفترقان في ضرب.

٤- الأسلوب الحكيم في الضرب الذي يتشابه فيه مع القول بالموجب – يقوم على تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامه على خلاف مراده ،أما القول بالموجب فإن المخاطب فيه يعمد إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم ، وذلك عين القول بالموجب ،لأن حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه[١]

ومن ثم فقد فرق جمهور البلاغيين بين الأسلوبين، فوضعوا الأسلوب الحكيم في علم المعاني، والقول بالموجب في علم البديع، وهم بذلك يعترفون بالتفريق بينهما، كما يشيرون إلى أن كلاً منهما مستقل عن الآخر تمامًا

٥- من الفروق الدقيقة بين اللونين أن في القول بالموجب ذكر المتعلق أما الأسلوب الحكيم فقد يذكر فيه وقد لا يذكر.

---

(١) راجع تحرير التحبير ص ٥٩٩ ، والهول المعجب في القول بالموجب للصفدي تحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين ص ٦٩.

ومن هنا فإن القول بالموجب غايته هي رد كلام المتكلم وعكس معناه مع الدليل وهو ذكر المتعلق،والأسلوب الحكيم هو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب بحمل كلامه على خلاف مراده .

وبعد هذه الوقفة التي وقفنا فيها مع القول بالموجب بقسميه يتجلّى لنا أن هذا اللون يتفق مع الأسلوب الحكيم في حمل المخاطب للفظ على غير ما حمله المتكلم.

وأهم ما يتميز به القول بالموجب ، أن فيه اعتراف المتكلم بالصفة الموجبة للحكم في كلام المخاطب مع حمل كلامه على خلاف مقصوده ،وهذا بخلاف الأسلوب الحكيم فإن فيه حملًا للكلمة على خلاف المقصود دون ذكر علة هذا الحمل.

الأسلوب الحكيم وخصائصه الفنية

يحسن بنا هنا أن نقف على الأثر البلاغي و التربوي لهذا الفن الجميل حتى يأخذ وضعه اللائق به بين الألوان البلاغية الأخرى ،كما يحسن بنا أن نلم بشيء من خصائصه الفنية حتى يتمكن أيّ متكلم من استثماره في نقل أفكاره والتعبير عما يريد بأسلوب بديع رائع ،يمزج بين الجدة والطرافة.

وأنبه إلى أن هذه الجزئية هي من أهم جزئيات هذا البحث ؛لأنها سوف تعين على فهم هذا الأسلوب فهمًا دقيقاً ، ومن ثم تعين على تحليله واستكناه أغراضه وأسراره في فصيح الكلام،وهذه الجزئية ثمرة معايشة طويلة لهذا الأسلوب ،ونتيجة تغلغل عميق في طبيعة الدلالة فيه،ولذا فإني سأحاول بكل جهد أن أقدم ما ينفع مستضيئاً في ذلك بكلام علمائنا الأجلاء .

وسوف يدور الحديث حول عدة محاور،وهي:

١. التسمية
٢. طبيعة الأسلوب الحكيم
٣. قوام الأسلوب الحكيم
٤. كيف يلجأ إليه المتكلم؟
٥. مقامات هذا الأسلوب
٦. الأثر البلاغي والتربوي للأسلوب الحكيم

على أن وقوفي مع هذه المحاور لن يكون إلا بما يخدم الغرض العام من هذا المبحث ألا وهو خصائص الأسلوب الحكيم وبلاغته.

١- التسمية

تبين لنا مما سبق أن الأسلوب الحكيم قد مر في سبيل نشأته وتطوره بعدة مراحل.

كما أن من يمعن النظر في طبيعة هذا الأسلوب وحقيقته يدرك أنها تتقارب في الصفة من بعض الألوان البديعية كالقول بالموجب والاستدراك والتعطف وتجاهل العارف.

ولهذين الأمرين – أعني مراحل نشأته وتشابهه مع بعض الألوان البلاغية- تعددت أسماء هذا اللون البلاغي واختلفت مصطلحاته من طور إلى طور ومن عالم إلى عالم وكان مجمل ما أطلق عليه أو أهم ما سمي بها الآتي:

- اللغز في الجواب
- المغالطة
- القول بالموجب
- الأسلوب الحكيم

ولا أريد أن أوازن بين هذه المصطلحات ؛لأبين أيها أدق وأجمع – لأنني لست بصدد الحديث عن ذلك – ولكني أريد أن أبين تلميح علمائنا الأجلاء إلى خصائص هذا الأسلوب البلاغية من خلال التسمية على مدى مراحل تطوره.

وأول ما يلقانا من ذلك صنيع الجاحظ – رحمه الله -؛ فإنه قد بحثه تحت بابين هما:

١- باب من اللغز في الجواب. (١)

(١) ينظر البيان والتبيين للجاحظ..ج ٢ ص ٧٣

٢- قوله:" ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله، وإلى مقصد صاحبه ".(١)

وإننا لنشعر من خلال التسميتين بدقة هذا الفن ،وأنه يحتاج إلى دقة في فهمه؛لأن صاحبه قد بناه بحكمة وإتقان يصل إلى درجة الإلغاز ، وهو التعمية.

يقال : أَلْغَزَ الكلام وأَلْغَزَ فيه :عَمَّى مُرَادد وأَضْمَرَد على خلاف ما أظهره.

واللُّغْزُ : ما أُلْغِزَ من كلام فَشُبِّه معناه. واللُّغز : الكلام الْمُلَبَّس . وقد أَلْغَزَ في كلامه يُلْغِز إلغازًا إذا وَرَّى فيه وعَرَّض ليخفى والجمع ألغاز. (٢)

ثم دقّق في العنوان الآخر الذي تعرّض الجاحظ لأمثلة من هذا الأسلوب تحته فقال:" ومن الكلام كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه".

فهو الآخر يوحي لك ببعض خصائص هذا الأسلوب حيث ألمح إلى أنه يبني على المحاورة بين متكلم وسامع (مخاطب). كما أن المخاطب يتفاعل فيه مع المتكلم، ويكون واعيًا بمرامي الكلام واتجاهاته، كما يكون فطنًا بمعاني أهله وقصد صاحبه.

ومجمل الأمر أن التسمية عند أبي عثمان الجاحظ – وهو حسب علمي أول من تعرض لهذا الأسلوب – توحي بأن هذا الفن " مما يشحذ القريحة ويحد الخاطر ؛لأنه يشتمل على معان

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٨

(٢) اللسان مادة: لغز

دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معارج خفية من الفكر"[١]

ثم قف مع تسمية الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهي المغالطة[٢].والغلط:أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه،والمَغْلَطة، والأُغلوطة:الكلام يغلط فيه ويُغالط به.والمُغالطة : مفاعلة من هذا المعنى[٣]

فهي تدل على المشاركة، وهذا هو قوام الأسلوب الحكيم؛ لأنه لابد فيه أن يكون بين اثنين، إما سائل ومجيب أو متكلم ومخاطب.

وكأن عبد القاهر يلمح إلى أن أحد المتخاطبين،يخطئ الآخر بادعاء عدم معرفة وجه الصواب في كلامه .

و هذه المغالطة ليست مذمومة – وإن أشعر الاسم بالذم – لما فيها من التنبيه على ما هو الأولى.

وقد ألمح إلى ذلك شيخنا الدكتور محمد أبو موسى في قوله:" وعبد القاهر يسمي هذا الأسلوب المغالطة، وهو جدير بهذه التسمية، وإن كانت مغالطة أدبية"[٤]

ولم يعرف هذا المصطلح إلا عند عبد القاهر حيث ورد

---

(١) ينظر المثل السائر لابن الأثير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . ج٢ ص٢١٣، والصبغ البديعي للدكتور أحمد موسى ص ٢٧٣

(٢) دلائل الإعجاز تحقيق محمود محمد شاكر ط مكتبة الخانجي بمصر ص ١٣٨

(٣) اللسان مادة: غلط

(٤) خصائص التراكيب نشر مكتبة وهبه بالقاهرة ص ٢١١

عرضًا ،وهو يتحدث عن تقديم المسند إليه،والبلاغيون حينما يذكرونه لا يذكرونه إلا حينما يتكلمون عن أصل هذا الأسلوب على أنني قد ألمحت إلى ما تفيض به هذه التسمية من سمات ،وما توحي به من دقة.

أما مصطلح القول بالموجب الذي أطلقه بعض البلاغيين على الأسلوب الحكيم، فإننا وقفنا معه، وظهر لنا الفرق بين المصطلحين، كما ظهر لنا أن الأسلوب الحكيم غير القول بالموجب، ومن ثم فلن نقف معه.

بقي مصطلح الأسلوب الحكيم الذي سمّاه به السكاكي . وهو الذي ارتضاه جمهور البلاغيين من بعده ليكون علمًا لهذا اللون البلاغي.

فإننا حينما نتأمل في هذا المصطلح ندرك أن هناك صلة وثيقة بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي.

فهذا الأسلوب، أسلوب مُتْقَن دقيق؛ لأنه مبني على الأولى والأهم، وقد ذهب شيخنا الدكتور عبد الحليم شادي إلى أن هذا الأسلوب يكاد يشبه الحكمة فقال :" ولعله سُمّي كذلك ؛ لأن الطرف الثاني يحول كلام المتكلم إلى ما هو أشبه بالحكمة، ولذا سمي حكيماً"[1] والذي أوحى بذلك وأفاض به وصف الأسلوب بالحكيم، فالأسلوب الذي هو الكلام هو محور هذا الوصف كما نرى.

---

(١) قطوف من البلاغة العربية للدكتور عبد الحليم محمد شادي ط التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست طنطا ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ص ٤٠

على أن عددًا من البلاغيين المعاصرين قد نكّر كلمة الأسلوب، وجعلها مضافة، والحكيم مضافًا إليه، وأصبح العنوان:"أسلوب الحكيم" ومن ثم تتحول الدلالة اللغوية في المصطلح من كون الحكمة وصفًا للأسلوب إلى كونها وصفًا للمتكلم.

وقد ذهب الدكتور الصامل إلى أن هذا المصطلح " أسلوب الحكيم " مرجوحًا، ومن ثم يرى عدم استعماله،وقد استدل على ذلك بعدة أدلة. (١)

لكني لا أميل إلى هذا ولا أراه؛ لأن فيه تحديدًا وتضييقًا على هذا الأسلوب الثري، الذي يوصف بالحكيم مرة، ويوصف قائله بالحكيم مرة أخرى، وهو جدير بذلك لما يمتلكه من مقومات تعبيرية تضفي على الحديث جدة وطرافة.

وما ذكره من أن الأنواع البلاغية تتجه أولاً إلى الكلام...ليس على الإطلاق ؛لأن كثيرًا من الألوان البلاغية يبني على المتكلم في الدرجة الأولى وأحوال الإسناد الخبري خير شاهد على ذلك.

وقوله احتمال أن من كتبه كان متساهلًا؛ ولذا فإنه يزاوج بين الصيغتين " الأسلوب الحكيم"، و" أسلوب الحكيم "فيستعمل هذه مرة وتلك أخرى.

أقول لا يوحي هذا بالتساهل ،ولكنه يوحي بالسعة ، والفهم الجيد لطبيعة هذا الأسلوب ، ومن ثم وصفوه مرة بالحكيم

---

(١) الأسلوب الحكيم مع تحقيق رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم للدكتور محمد الصامل ص ٢٥

أي المُتْقَن، ومرة وصفوا صاحبه بهذا الوصف ويعنون به المُتْقِن للأمور، فالحكيم في وصف الأسلوب يكون اسم مفعول. وفي وصف المتكلم يكون اسم فاعل وقد سبق توضيح ذلك.

وقوله:"إن من استعمله جميعهم من المعاصرين، وقد عدَّدهم وأوصل عددهم إلى عشرة.

أقول: نعم هم من المعاصرين، ولكنهم من خيرة المعاصرين وروادهم، وربما لو استقصى لزاد العدد إلى أضعاف.

ومن ثم فبدلاً من أن نعتبر هذا العدد من باب التساهل فأولى بنا أن نعتبره إجماعًا على جواز التسميتين.

طبيعة هذا الأسلوب وقوامه:

يبدو للقارئ – للوهلة الأولى – أن هذا اللون البلاغي قريب من الرياضة العقلية ، والتلاعب بالكلمات ،والمماحكة اللفظية ،وأنه مفتقر إلى الخيال الشعري والعاطفة الجياشة.

ولكننا بالتأمل فيه نجد أنه لا يخلو من حسن السبك وروعة التعبير، وجمال المفاجأة، وسحر البيان، وباختصار هذا اللون من أرقى الأنواع الفنية وأرحبها خيالاً.

ترى المخاطب قد أعاد عليك اللفظة ،كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ،ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها،وبهذه الفائدة صار الأسلوب الحكيم من حلى الشعر ومذكوراً في أقسام البديع ، وما يعطيه الأسلوب الحكيم من الفضيلة أمر لا يتم إلا بنصرة المعنى،إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن،ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن.

اقرأ قول شهاب الدين أبي الثناء محمود:

رَآنِي وَقَدْ نَالَ مِنِّي النُّحُولُ ∴ وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيْضَا

وَقَالَتْ: يَعِينِي هَذَا السَّقَامُ .·. فَقُلْتُ: صَدَقْتِ، وَبِالْخَصْرِ أَيْضًا

فإنك ترى كيف استطاع خيال الشاعر أن يقيم بناءين متقابلين من حقيقة واحدة ، فقد جرت عادة الشعراء أن يصفوا الطَّرف بالسّقم، وهو من الصفات المستحبة في المرأة ، والتي أكثروا من التغزل بها،ولكنهم لا يصفون الخصر بالسّقم ،وإن كان من كمال الحسن و وفور الجمال أن تكون ناحلة الخصر هضيم الحشا، وإذا بالشاعر يرى في نحول الخصر سقماً،ويرى الجمال الرائع في العين السقيمة يشد من أزره جمال أروع في دقة الخصر السقيم.

وإنك لترى اللفظ الواحد الذي استخدمه في البناءين يضيف إلى المعنى عمقًا جديدًا، وإلى اللفظ نغمًا عذبًا، يسري إلى النفوس هادئًا ساكنًا يبعث على المتعة واللذة[1]

ثم اقرأ قول القائل: [2]

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعًا .·. فَكَانُوهَا؛ وَلَكِنْ لِلأَعَادِي

---

(١) ينظر الهول المعجب في القول بالموجب للصفدي تحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين ص ٥١ ، ص ١٢٦ وخزانة الأدب للحموي ج ١ ص ٢٦٠

(٢) نسب ابن أبي الإصبع هذه الأبيات لابن الرومي ونسبها ياقوت الحموي لأبي الحسن علي بن فضال النحوي الفرزدقي المجاشعي. وقال العباسي إنهما لعلي بن فضال أو ابن الرومي انظر تحرير التحبير ص ٣٣١ ومعجم الأدباء ج ٤ص ٢٠٣ وخزانة الأدب لابن حجة ج ١ ص ١٤٦ ومعاهد التنصيص ج٣ ص ١٨٥والهول المعجب ص١٦٥.

وَخِلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ ∴ فَكَانُوهَا؛وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي

وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ ∴ لَقَدْ صَدَقُوا؛ وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

فإنك تجد أن الشاعر أيضًا قد استعمل عدة ألفاظ، وهي: دروعًا" ، " سهامًا "، " صفت "مرتين ، وقد استعملها في المرة الأولى بمعنى ، وفي المرة الثانية حملها على معنى آخر،هو على خلاف المعنى الأول ، والشاعر بهذا كأنه يوهمك أنه يعيد اللفظة كما هي ،لكنك إذا فتشت وجدت أنه قد أوهمك الإعادة وقد أفاد معنى جديدًا.

أما قوام هذا الأسلوب فإننا من خلال التأمل في الأسلوب الحكيم وطبيعته، ندرك انه يقوم على ثلاث دعائم، هي:

١- المحاورة بين اثنين: مُخَاطِب ومُخَاطَب أو سائل ومجيب.

٢- الإجابة بغير ما يترقب أو العدول عن الجواب إلى غيره.

٣- مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل.

تلك هي الدعائم الثلاث التي يقوم عليها الأسلوب الحكيم: وهي تمثل أركانه وأسسه.

كيف يلجأ المتكلم إلى الأسلوب الحكيم؟

يحسن بنا أن نشير هنا إلى الوسائل التي تُمكّن المتكلم من اللجوء إلى هذا الأسلوب - بعد معرفة أسسه ودعائمه - ليستثمره في التعبير عما يريد.

وهذه الوسائل تتنوع بتنوع صور الأسلوب الحكيم، ومن المعروف أن لهذا الأسلوب صورتين، هما:

الصورة الأولى:تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب.

الصورة الثانية:إجابة السائل بغير ما يسأل.

ولكل صورة من هاتين الصورتين وسائل تعين عليها، وتختص بها، ونحاول أن نقف على ذلك.

أما الصورة الأولى فإن لها عدة وسائل، يستطيع المتكلم أن يسلكها للوصول إلى الأسلوب الحكيم، وهذه الوسائل في الغالب ما يأتي:

١- اللفظ المشترك الذي يدل على معنيين أو أكثر دلالة حقيقية أو عرفية.

وهذه الوسيلة من أكثر الوسائل شيوعًا في الأسلوب الحكيم، وأمتعها بلاغة؛ لأنها مما يضفي على المقام جو الدعابة والجدة،كما تتيح للمتكلم أن يتخلص مما هو فيه ،وقد مر بنا ذلك في حكاية الغضبان بن القبعثري،ورأينا كيف نقل اللفظ من مجال إلى مجال آخر،ومن معنى إلى معنى آخر،وذلك ؛ لأنه يستخدم في المعنيين معًا عرفًا، وفي بيتي أبي الثناء استخدم اللفظ في معنيين ،أحدهما متعارف عليه والآخر أوحى به.

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد وابن ماجة واللفظ له، وإسناده صحيح وأصله في الصحيح -عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قلت يا رسول الله على النساء جهاد. قال: نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة "[1]

قال الصنعاني: قولها " على النساء جهاد " إخبار يراد به الاستفهام ، "قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه" كأنها قالت : ما هو فقال : " الحج والعمرة "أطلق عليهما لفظ الجهاد مجازاً أشبههما بالجهاد وأطلقه عليهما بجامع المشقة وقوله لا قتال

(١) سنن ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر ج ٢ ص٩٦٨ الحديث رقم ٢٩٠١

فيه إيضاح للمراد وبذكره خرج عن كونه استعارة والجواب من الأسلوب الحكيم "[1] ، ووسيلة تحقيقه استعمال اللفظ مرتين : مرة على سبيل الحقيقة والأخرى على سبيل المجاز أو التشبيه.

٢- التشابه في الصورة بين اللفظين مع اختلافهما في المعنى وأحيانًا في المعنى والاشتقاق. فمن الأول قول الحجاج للمهلب بن أبي صفرة: أنا أطول أم أنت؟

فقال المهلب : أنت أطول ، وأنا أبسط قامة.

فقد سأل الحجاج عن الطُول الذي هو ضد القصر، وأجاب المهلب بإثبات الطَوْل الذي هو بمعنى الرفعة والفضل تأدبًا معه. وتخلصًا من هذا الموقف المحرج.

وقد ساعده على ذلك أن (أطول) اسم تفضيل من الطول ضد القصر، وأنها أيضًا اسم تفضيل من الطَوْل بمعنى التفضل. فالكلمتان تتشابهان في اللفظ والاشتقاق، لكنهما تختلفان في المعنى، وقد استعملها الحجاج في المعنى الأول واستعملها المهلب في المعنى الثاني.

و نظير ذلك جواب العباس - ﷺ - حينما سُئل: أنت أكبر أم رسول الله - ﷺ- ؟ فقال:هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله".

فقد سُئل - ﷺ - عن الكِبَر في السِّن،لكنه أجاب بجعل الكبر المسئول عنه صفة معنوية يُقْصَد بها المنزلة والمكانة.وقد جعل ذلك لرسول الله - ﷺ- تأدبًا مع مقامه الرفيع ،واحتراسًا من أن يُثبت لنفسه ما يوهم خلاف ما يجب ، ثم أجاب السائل عن

(١) سبل السلام للصنعاني الأمير تحقيق محمد عبد العزيز الخولي ط دار إحياء التراث العربي بيروت ج ٢ ص ١٧٨

سؤاله؛الذي يطلب فيه تحديد أيهما أسن من الآخر،في قوله:"وأنا ولدت قبله"،وهذا الجواب مطابق للسؤال؛ولذا فإنه لا يدخل في باب الأسلوب الحكيم ،إنما الذي يدخل فيه هو الجزء الأول من الجواب ،وهو قوله:" هو أكبر مني".

على أن الذي سوغ للعباس ذلك، هو أن كلمة(أكبر)تحتمل أن يراد بها أكبر في المنزلة والقيمة – وهذا ما أجاب به– كما تحتمل أن يراد بها أكبر في السن، وهو مراد السائل.

ومثال الثاني قول الصفدي :

قُلتُ: أَمَا تَرحَمُ المُحِبَّ فَقَدْ ∴ ذَابَ ضَنًى فِي الهَوَى مِنَ الأَسَفِ

فَقَالَ: لَا بَاسَ أَنْ تَمُوتَ ضَنًى ∴ قُلتُ: وَلَو بَاسَ بَعدَ ذَاكَ شَفِي

فقد استغل التشابه اللفظي بين" باس" من البأس، و"باس" من التقبيل.

٣– تقسيم الكلمة إلى قسمين، وإدخال جزء واحد منها في تركيبين مختلفين،اقرأ قول الصفدي:

عَشِقتُ مِنَ النَّصَارَى ظَبيَ إِنسٍ ∴ كَبَدرٍ فِي الدَّيَاجِي قَد تَبَدَّى

وَقَالُوا: رَاحَ شَمَّاسًا فَقُلنَا ∴ فَكَيفَ بِحُسنِهِ لَو شَمَّ وَردَا ؟

فكلمة (الشماس) من الوظائف الكنسية وقد قسّمها الشاعر قسمين:شَمَّ وآس،وأبدل بالآس وردًا في التركيب الثاني ،ثم استخدم هذا الجزء الذي استعمله في التركيبين – وهو شم – في معنيين مختلفين ، في المرة الأولى كما ترى جزء من كلمة (الشمّاس) وفي المرة الثانية جزء من تركيب، وهو فعل.

٤– قد يأتي المراد ويتحقق الأسلوب الحكيم بما له تعلق بالكلمة،ومن ذلك قول الصفدي:

وَصَاحِبٍ لَمَّا أَتَاهُ الْغِنَى ∴ تَاهَ وَتَفَسُ الْمَرْءِ طَمَّاحَهُ

وَقِيلَ : هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا ∴ تَشْكُرُهَا؟قُلْتُ:وَلَا رَاحَهُ

فكلمة (اليد) التي وردت في السؤال المذكور في البيت الثاني بمعنى النعمة والفضل،على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية،لكن المجيب حوّلها إلى المعنى الحقيقي لها،وهو اليد الجارحة،وذلك من خلال قوله:" ولا رَاحة"؛لأن الراحة لها بها تعلق ؛إذ هي – في أحد معنييها – تلائم اليد الجارحة.

فكأن المجيب بهذا ينفي رؤية اليد الجارحة، والسؤال عما إذا كان تلقى معروفًا منه، ومن ثم فهو من تلقّي السائل بغير ما يطلب، والذي ساعده على تحقيق ذلك التورية الموجودة في كلمة راحة؛ لأن لها معنيين:

أحدهما: هو باطن الكف.

والثاني:ضد التعب. (١)

والمعنى الأول هو الذي رشح استعمال اليد في معناها الحقيقي وهو الجارحة.

والمجيب على هذا كأنه ينفي أن يكون أبصر يدًا ولا كفًا. وفي هذا إمعان منه في إنكار تلقيه للمعروف والنعمة؛ لأنه إذا لم يبصر كف المنعم ويده فكيف يصل إليه فضله ؟!!

٥- اختلاف المتعلق ، تأمل قول الصَّفدي:

يَقُولُ مُعَذِّبِي: اصْبِرْ لِوَاشٍ ∴ أَتَاكَ، ولم تَجِدْهُ إليك أَحْسَنْ

(١) الأسلوب الحكيم للدكتور الصامل ص٧٦

عَسَى يَتَوَسَّطُ الوَاشِي بِخَيْرٍ ∴ فَقُلْتُ لِحُرْقَتِي: بِالسَّيْفِ أَحْسَنْ

فقد استعمل كلمة التوسط مرتين:مرة ثابتة،وأخرى مقدرة – والمقدر كالثابت – ، وقد اختلف معناها في المرة الأولى عن الثانية ، لأن التوسط بالخير، يختلف عن التوسط بالسيف؛إذ الأول معناه الصلح والثاني معناه القتل؛ولذا فإنه كان من وسائل الإعدام في مجتمع المماليك.

والسبب في هذا الاختلاف هو اختلاف المتعلق.

٦- وقد يتحقق الأسلوب الحكيم،وتكتمل النادرة بما يضاد الكلمة،انظر إلى قول الصَّفدي:

يَقُولُ فِي مَجْلِسِنَا زَائِرٌ ∴ لَمْ تَلْقَ مَا أَلْقَى بِإِصْغَاءِ

مَا عِنْدَكُم مَيْلٌ إِلَى حَاضِرٍ؟ ∴ قُلْنَا:وَلَا شَوْقٌ إِلَى نَاءِ[1]

فقد اكتملت النادرة كما نرى بما يضاد حاضر و هو ناء.

٧- وقد يتحقق الأسلوب الحكيم من خلال إعادة الكلمة مضافة إلى كلمة أخرى أو موصوفة بها، ويمكن أن نمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]

فإن المنافقين قالوا عن النبي – ﷺ – إنه (أُذُن) – وقد حكى

(١) ينظر الهول المعجب في القول بالموجب ص ٥٢ وما بعدها

(٢) التوبة / ٦١

الله تعالى عنهم ذلك - ، والأذن في الأصل اسم للجارحة ،وإطلاقها على الشخص بالمعنى المذكور - كما يؤيده بعض الروايات - من باب المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية ؛لأنه من إطلاق الجزء على الكل للمبالغة، سُمّي بالجارحة التي هي آلة السماع، كأن جملته أذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين ومنه قول الشاعر:

إذا ما بدت ليلى فكلي أعينٌ ∴ وإن هي ناجتني فكلي مسامعُ

وقيل إنه مجاز عقلي، كرجل عدل للمبالغة أيضا، وجعله بعضهم من قبيل التشبيه بالأذن، وقيل غير ذلك[1]، وأرجح هذه الأقوال الأول.

وهذا الإطلاق قد تأذّى منه النبي - ﷺ - ؛ لأنهم يقصدون منه مذمته- ﷺ- و الإيحاء بأنه ليس عنده وراء الاستماع تمييز حق من باطل ؛ وذلك لأن الأذن هو الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد.

وقد جاء الرد على ذلك في قوله :"قل أذن خير لكم" وهو من قبيل قولهم :رجل صدق فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة في الجودة والصلاح كأنه قيل : نعم هو إذن ولكن نعم الأذن،فقد كرر كلمة (أذن) مرتين:مرة في قولهم . ومرة في الرد عليهم ،وهي في كل مرة توحي بمعنى يختلف عن الآخر؛إذ هي في قولهم توحي بالذم، وفي الرد عليهم توحي بالمدح ،والسبب في ذلك وصف الكلمة وإضافة الوصف إليها في

(١) راجع الكشاف ج ٢ ص ١٩٩ وروح المعاني ج ١٠ ص ١٢٦

المرة الثانية، وهذا كما قال ابن المنير أبلغ أسلوب في الرد عليهم ،لأن فيه إطماعاً لهم بالموافقة على مدعاهم ثم كر عليهم بحسم طمعهم وبت أمنيتهم وهو كالقول بالموجب[١]

تلك هي الوسائل والطرق التي يسلكها المتكلم ليلجأ إلى الأسلوب الحكيم في قسمه الأول[٢] ، وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب.، أما القسم الثاني، وهو إجابة السائل بغير ما يطلب، فإنه يحسن بنا أن نذكر حالات الجواب مع السؤال لنحدد الحالات التي تندرج تحت الأسلوب الحكيم، وهذه الحالات هي:

١- أن يكون الجواب مطابقًا للسؤال.

٢- أن يكون الجواب خارجًا عن موضوع السؤال.

٣- أن يكون الجواب أعم من السؤال، وذلك بأن يتضمن زيادة عما في السؤال، للحاجة إليها، علمًا بأن السائل قد أغفلها.

٤- أن يجيء الجواب أنقص من السؤال لضرورة الحال. [٣]

وبالتأمل في هذه الحالات الأربع نجد أن الحالة الأولى – وهي ما يطابق الجواب فيها السؤال – لا تدخل في الأسلوب الحكيم قطعًا؛ لأن الجواب فيها جاء وفق ما يقتضيه ظاهر الحال.

---

(١) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير – على هامش الكشاف – ج ٢ ص ١٩٨وروح المعاني ج ١٠ ص ١٢٦

(٢)ويلاحظ أن كل هذه الوسائل تصلح أيضا للضرب الثاني من القول بالموجب الذي يتفق مع مفهوم الأسلوب الحكيم.

(٣) راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ٤ص ٤٢ ، وحاشية الدسوقي– ضمن شروح التلخيص – ج١ ص ٤٨١.

وأما الحالة الثانية – وهي التي عدل في الجواب عما يقتضيه السؤال– فإن جمهور البلاغيين يحملها على الأسلوب الحكيم؛ لأنها من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[1] ؛إذ جعل الذين آمنوا قصة إرسال سيدنا صالح – عليه السلام – أمراً غير قابل للنقاش ،وكأنهم يقولون لهم: بل يجب أن تسألوا يا أيها الكفرة هل آمنا به أم لا .

يقول الزمخشري :فإن قلت :كيف صح قولهم "إنا بما أرسل به مؤمنون"جواباً عنه ؟ قلت: سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمرًا معلوماً مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب، كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به مالا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإثارته، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون، ولذلك كان جواب الكفرة "إنا بالذي آمنتم به كافرون" فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوماً وأخذوه مسلماً"[2]

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿ ٥٥ ﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ

(١) سورة الأعراف/٧٥

(٢) الكشاف ج ٢ ص ٩١

وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [1] فالجواب – كما ذكر الطيبي– وارد على الأسلوب الحكيم ؛إذ كان من الظاهر أن يجيبهم – عليه السلام – بقوله بل أنا من المحقين، ولست من اللاعبين؛ فجاء بقوله بل ربكم ...الآية ؛لينبه به على أن إبطالي لما أنتم عاكفون عليه، وتضليلي إياكم مما لا حاجة فيه ؛لوضوحه إلى الدليل ولكن انظروا إلى هذه العظيمة ،وهي أنكم تتركون عبادة خالقكم ومالك أمركم ورازقكم ومالك العالمين والذي فطر ما أنتم لها عاكفون وتشتغلون بعبادتها دونه ؛فأي باطل أظهر من ذلك وأي ضلال أبين منه... [2]

ونظير ذلك قوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [3]

سألوا عن وقت إرساء الساعة وأجيبوا عن أحوالهم فيها فكأنه قيل : دعوا السؤال عن وقت إرسائها، فإن كينونته لابد منه ، بل سلوا عن أحوال أنفسكم حيث تكونون مبهوتين متحيرين فيها من هول ما تشاهدون، فهذا أليق بحالكم من أن تسألوا عنه[4].

---

(١) الأنبياء/ ٥٥- ٥٦

(٢) روح المعاني ج ١٧ ص ٦١

(٣) سبأ/ ٢٩ - ٣٠

(٤) راجع روح المعاني ج ٢٢ ص ١٤٤

وقد ذكر الدسوقي – رحمه الله – أن السؤال ضـــربان : جدلي وتعليمي،وذكر أن السؤال الجدلي يجب أن يطابقه جوابه، أما التعليمي فإن المجيب يبني فيه جوابه على الأمر اللائق بحال السائل كالطبيب يبني علاجه على حال المـــريض دون ســـؤاله، فتجوز المخالفة فيه ،والسؤال عن الأهلة والنفقة من هذا القبيل ؛لأنه من المسلمين للنبي صلوات الله وسلامه عليه [1]

وكأن العلامة الدسوقي يمنع مخالفة الجواب للسؤال فـــي القسم الجدلي،ويجيز ذلك في القسم التعليمي ،وأوافقه – طيـــب الله ثراه– على جواز المخالفة في التعليمي.

أما الجدلي فلا أوافقه على ما ذهب إليه فيه؛ لأن المجيب قد يعدل عن الجواب فيه أيضًا، إذا اقتضت الضرورة ذلك.

وذلك كما في أجوبة موسى – عليه السلام – لفرعـــون فإنها من هذا القسم، وقد خالف الجواب فيها الســـؤال، تنبيهًـــا لفرعون للأولى والأهم، ومن ثم فهي على الأسلوب الحكيم.

قال الزركشي – رحمه الله – :" وقد يُعْدَلُ عن الجواب إذا كان السائل قصده التعنّت ،كقوله تعالى :﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] ....وذلك " أن اليهود إنما سألوا تعجيزًا وتغليظًا ؛إذا كان الروح يقال بالاشتراك على روح الإنسان وجبريل وملك آخر،يقال له الروح ،وصـــنف من الملائكة والقرآن وعيسى ، فقصد اليهود أن يسألوه فبـــأيّ

(١)حاشية الدسوقي– ضمن شروح التلخيص – ج١ ص ٤٨١.

(٢) سورة الإسراء /٨٥

يسمَّى أجابهم قالوا: ليس هو، فجاءهم الجواب مجملاً فكان هذا الإجمال كيدًا يرسل به كيدهم...

ومن ذلك أجوبة موسى – عليه السلام –لفرعون، حيث قال فرعون:﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[1] ؛لأن(ما) سؤال عن الماهية أو عن الجنس ،ولما كان هذا السؤال خطأ؛لأن المسئول عنه ليس تُرى ماهيته فتُبين،ولا جنس له فيُذكر، عدل الكليم عن مقصود السائل إلى الجواب بما يعرف الصواب عند كيفية الخطاب؛ ولا يستحق الجريان معه،فأجابه بالوصف المنبّه عن الظن المؤدّي لمعرفته،لكنه لما لم يطابق السؤال عنه فرعون لجهله،واعتقد الجواب خطأ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾،فأجابه الكليم بجواب يعمّ الجميع، ويتضمن الإبطال لعين ما يعتقدونه من ربوبية فرعون لهم بقوله: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ،فأجاب بالأغلظ ، وهو ذكر الربوبية لكلّ ما هو من عالمهم نصًّا.

ولما لم يرهم موسى – عليه السلام– تفطنوا، غلّظ عليهم في الثالثة، بقوله:﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فكأنه شك في حصول عقلهم [2]

وأما الحالة الثالثة، وهي التي يتضمن الجواب فيها زيادة عما جاء في السؤال، فهي أيضاً من الأسلوب الحكيم وذلك كقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا نَعْبُدُ

(١) سورة الشعراء /٢٣- ٢٤

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ٤٤ بتصرف

أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾ (١)

فإنه سألهم عما يعبدون فأجابوا بقولهم:" نعبد أصنامًا" وزادوا في قولهم:" فنظل لهم عاكفين " ليظهروا الابتهاج بعبادتها، والاستمرار على مواظبتها، وذلك ليزداد غيظ السائل.

ونظير ذلك قوله تعالى :﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾(٢)

فقد أجاب بقوله :" الله ينجيكم منها" وزاد :" ومن كل كرب " ، أي: الله- تعالى- وحده ينجيكم مما تدعونه إلى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم أنتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته- تعالى- غيره.

فقد أجاب وزاد لقصد بسط الكلام ليشاكل ما تقدم.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾(٣)

فإن موسى- صلوات الله وسلامه عليه- قد أجاب عن السؤال وزاد(٤)

---

(١) سورة الشعراء /٦٩- ٧٠

(٢) سورة الأنعام / ٦٣ - ٦٤

(٣) سورة طه /١٦- ١٧

(٤) ينظر البرهان في علوم القرآن ج ٤ ص ٤٥

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[1] على احتمال جعل الكلام بمجموعه الجواب ، وهو من الزيادة على الجواب[2]

ومن ذلك أيضًا ما روي عن أبي هريرة – ﷺ– أن رجلاً سأل رسول الله – ﷺ – ، قال: إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء ،فإن توضأنا به عطشنا،أفنتوضأ بماء البحر؟

فقال رسول الله– ﷺ–:" هو الطهور ماؤه والحل مَيْتَتُهُ"[3]

فقد سُئِل النبي – ﷺ– عن طهارة ماء البحر ، وكان مقتضى الظاهر أن يكون الجواب بنعم أو الاكتفاء بقوله : " هو الطهور ماؤه"، لكنه – ﷺ– أطنب وزاد في الجواب فأضاف إلى قوله "هو الطهور ماؤه" قوله :" والحل ميتته" ؛ ومن ثم كان هذا الجواب من الأسلوب الحكيم؛ لأنه تضمن زيادة لم يسأل عنها السائل ، وإنما أضافها النبي – ﷺ– إلى الجواب مراعاة لحال السائل، وهذا من فطنته ودقته وحكمته .

ولو نظرنا إلى حال السائل ، و عرفنا أنه ممن يركب البحر، لأدركنا الحكمة من هذه الزيادة ؛لأن المسافر في البحر

---

(١) الأنعام /١٩

(٢) روح المعاني ج ٧ ص ١١٧

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ص ٤٣ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م ط خامسة.

كما يحتاج إلى الماء للطهارة وغيرها،فإنه يحتاج إلى الغذاء، ومن هذا الغذاء ما يعيش في البحر من أسماك وغيرها ، وأنه كما سأل عن الوضوء بماء البحر،فإن مما يهمه معرفة الفتوى في صيد البحر، ومن هنا راعى النبي – ﷺ- هذه الحال فزاد في الجواب.

قال الرافعي : لمّا عرف ﷺ اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر، أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته، وقد يبتلى بها راكب البحر، فعقّب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة، وقال غيره سأله عن مائه، فأجابه عن مائه وطعامه؛ لعلمه بأنه قد يُعْوِزُهم الزاد فيه كما يُعْوِزُهم الماء فلما جمعتهم الحاجة انتظم الجواب بهما" (١)

وعقب ابن العربي (٥٤٣هـ) على ذلك بقوله: وذلك من محاسن الفتوى، أن يجاء في الجواب بأكثر مما يسأل عنه، تتميمًا للفائدة، وإفادة لعلم آخر غير مسئول عنه، ويتأكد ذلك عند ظهور الحاجة إلى الحكم كما هنا ؛ لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحل ميتته مع تقدم تحريم الميتة أشد توقفاً " (٢)

ومن ذلك أيضا ما رواه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه- قال :قال رسول الله- ﷺ- من آمن بالله وبرسوله ، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن

---

(١) تحفة الأحوذي لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكفوري (ت ١٣٥٣هـ) . ط دار الكتب العلمية بيروت ج ١ ص ١٨٨- ١٨٩.

(٢) المرجع السابق وراجع الأسلوب الحكيم للدكتور الصامل ص ٦٠

يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه، التي ولد فيها، فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ،ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة. أُرَاه فوقه عرش الرحمن ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة"[1]

فقد سألوا رسول الله- ﷺ- أفلا نبشر الناس وكان مقتضى الظاهر أن يجابوا بنعم أو بلا، ولكن النبي أجابهم بقوله:" إن في الجنة مائة درجة ..." وهذا من الأسلوب الحكيم، قال العيني:" فهو من الأسلوب الحكيم أي بشرهم بدخول الجنة بالإيمان ولا تكتف بذلك بل زد عليها بشارة أخرى وهو الفوز بدرجات الشهداء وبل بشرهم أيضا بالفردوس" وهذا من كلام الطيبي[2].

فهذه الحالة كما رأينا قد تضمنت الجواب، وزادت عليه، وهذه الزيادة الغرض منها تنبيه السائل إلى أنه كان من الأولى أن يسأل عنها؛ لأنها تناسبه، أو أن حالته تتطلب تنبيهه إليها؛ لأنها مهمة له – ومن ثم فهي من الأسلوب الحكيم.

وقد تجلى لنا جمال ذلك ودقته في القرآن الكريم والحديث الشريف، وليس ذلك بغريب عليهما؛ لأن القرآن الحكيم وضعت ألفاظه وضعًا معجزًا، فكل كلمة فيه – بل كل حرف – جاءت

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السند ط دار التراث العربي القاهرة ج٢ ص ١٣٦.

(٢) عمدة القاري للعيني ط دار إحياء التراث العربي بيروت ج ١٤ ص ٩٠

لمغزى وغرض بلاغي.

وكذلك حديث النبي - صلوات الله وسلامه عليه-، فهو محفوف بالعصمة مبني على الحكمة؛ ومن ثم فلن تجد في كلامه زيادة ليست لغرض.

وبالجملة هما للسائل كالطبيب للمريض يحدد له ما يتفق وحالته، ولذا فهما يجيبان السائل بما يناسب حالته.

وأما الحالة الرابعة:وهي التي يكون الجواب فيها أنقص من السؤال، فإذا كان النقص مما يمكن للسامع إتمامه اعتمادًا على ما ذكر أو على قرينة أخرى، فهذا يدخل في باب الإيجاز، ولا يصنف في باب الأسلوب الحكيم.

وأما إذا كان النقص في الجواب متعمدًا،كأن يكون مما لا يحسن ذكره أو ليس من المصلحة بيانه ، أو غير ذلك مما يقدره المجيب وتمليه عليه الحكمة ، فأرى أن هذا مما يمكن إدراجه في باب الأسلوب الحكيم ؛ لأن مقتضى الظاهر أن يكون الجواب مطابقًا للسؤال ؛ فإذا نقص فقد خالف الظاهر "[1] ، ويمكن أن يمثل لهذه الحالة بقوله تعالى - عن مشركي مكة - : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]

فقد طلب كفار مكة من النبي- صلوات الله وسلامه

---

(١) الأسلوب الحكيم للصامل ص ٣٢ وما بعدها

(٢) سورة يونس /١٥

عليه- أن يأتي بقرآن ليس فيه ما يكرهون من سب آلتهم وذكر البعث،أو أن يبدله بأن يجعل مكان آية العذاب آية رحمة ومكان الحرام حلالاً ومكان الحلال حرامًا ،وقد ذكروا ذلك إما على سبيل السخرية والاستهزاء، وإما على سبيل التجربة والامتحان حتى إنه لو فعل ذلك علموا أنه كان كذابًا في قوله : إن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله"[1]

وقد أمره الله أن يجيبهم على التبديل، وطوى الجواب عن الاختراع.

قال الزمخشري :لأن التبديل في إمكان البشر ،بخلاف الاختراع فإنه ليس في المقدور[2]

فطوى ذكره للتنبيه على أنه سؤال محال، وذكر غيره أن التبديل قريب من الاختراع؛ فلهذا اقتصر على جواب واحد لهما.

قال الزركشي : وخطر لي أنه لما كان التبديل أسهل من الاختراع وقد نفى إمكان التبديل ،كان الاختراع غير مقدور عليه من طريق أولى . [3]

وهذا ما أكده العلامة أبو السعود في قوله: ولأن ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الأول بالطريق الأولى. [4]

ومن خلال هذا الكلام يتضح لنا أن الأسلوب الحكيم يدخل في ثلاث حالات من حالات الجواب مع السؤال، هي باختصار:

---

(١) ينظر الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ٣٣٧

(٢) الكشاف ج ٢ ص ١٨٤

(٣) البرهان ج ٤ ص ٤٦

(٤) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٦٤١

١- ما يكون الجواب فيها مخالفًا للسؤال.
٢- ما يكون الجواب فيها أزيد من السؤال لحكمة.
٣- ما يكون الجواب فيها أنقص من السؤال لحكمة.

أما الحالة الرابعة، وهي التي يطابق الجواب فيها السؤال، فإنها لا تدخل ضمن هذا الأسلوب.

وبكل ما سبق نكون قد ألمحنا إلى الوسائل التي تُمكِّن المتكلم وتساعده على اللجوء إلى الأسلوب الحكيم بنوعيه المعروفين عند البلاغيين.

مقامات الأسلوب الحكيم

اتضح لنا مما سبق أن هذا الأسلوب لا يكون إلا بين متحاورَيْن أو سائل ومجيب ،وأنه مبني على الحكمة والدقة ؛ ومن ثم فهو يتطلب فطنة في استعماله ،كما أنه يتطلب مقامًا يتناسب معه ،ومن المعلوم والمسلم به أن المقامات هي قطب الرحى في الحكم على بلاغة الكلام والمتكلم، فمتى طابق المتكلم بين كلامه والمقام كان هو وكلامه بليغًا، وإذا لم يطابق بينهما لم يستحق هو ولا كلامه هذا الوصف.

ومن ثم أردت هنا أن أشير إلى بعض المقامات التي تناسب هذا الأسلوب حتى تكون عونًا لمن يريد أن يستخدمه في التعبير عما يريد.

ومما يجب التنبيه إليه هنا أنني لن أستطيع حصر هذه المقامات ؛لأنها متجددة وتجددها لا ينتهي ،ومن هنا فإن ما سأذكره يكون على سبيل المثال لا الحصر وأرجو أن يسهم ذلك في تمكن المتكلم من معرفة المقامات التي تناسب هذا الأسلوب حتى يستخدمه استخدامًا جيدًا.

وفي البداية أعتقد أنه قد تجلَّى لك أنك في هذا الأسلوب قد تخاطب إنسانًا وتحاورد أو يسألك سائل في أمر من الأمور فتجد في نفسك ميلًا إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال.

وبناء على ذلك فإننا نستخلص لهذا الأسلوب مقامين رئيسين لكل منهما مقامات فرعية.

أما المقام الأول فهو مقام إجابة السائل بغير ما يترقَّب ويكون ذلك في عدة مقامات فرعية، هي:

١- عجز السائل عن فهم الجواب على الوجه الصحيح؛ ولذا فإنه يجمل به أن ينصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى والعمدة في ذلك عند البلاغيين قول الله – جل وعلا – :﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[1].

٢- للتخلص من الأسئلة المحرجة،ويكون ذلك حينما يكون السؤال محرجًا،ويتخلص المجيب من هذا السؤال بمهارة ولباقة بجواب بعيد عن السؤال لا حرج فيه،ويتمثل ذلك بصورة جلية بين الأب وابنه الصغير، الذي قد يلقي أسئلة لا يحسن ذكر إجابتها له، لعدم قدرته على استيعابها أو لخطورتها،وبخاصة إذا كانت تتصل بالذات الإلهية أو النواحي الجنسية ،فيكون الخروج من هذه المواقف عن طريق الأسلوب الحكيم.

كما يكون ذلك أيضًا في محاورات الإعلاميين للشخصيات السياسية أو غير السياسية من كبار المسئولين ، وذلك حينما يلقون عليهم أسئلة محرجة لا يمكن الإجابة عليها ؛ لأن الإجابة عليها قد تسبب حرجًا أو مشاكل ،ومن ثم يتخلص المسئولون منها عن طريق الأسلوب الحكيم.

٣- حينما يسأل السائل عن شيء ليست له به أهمية، ومن ثم يجيبه المجيب بما هو الأهم له.

ويتجلّى ذلك في جانب كبير من أسئلة الأبناء لآبائهم، أو الطلاب لأساتذتهم، كما يتجلى أيضًا في فتاوى السادة العلماء وإجاباتهم عن أسئلة السائلين ، فقد يتضمن السؤال خطأ أو

(١) سورة البقرة / ١٨٩

يكون في جانب لا يهم السائل كثيرًا ، فمن الحكمة أن يعدل المجيب عن الإجابة إلى تصحيح ما وقع فيه السائل من خطأ ،وأن يجيبه عما هو الأهم له ، ونرى هذا بكثرة في إجابات النبي – صلوات الله وسلامه عليه – لبعض أصحابه – رضوان الله عليهم أجمعين – من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – : أن رجلاً قال يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب ؟ قال رسول الله– ﷺ– : لا يَلْبَسُ الْقُمُصَ ، ولا العَمَائِمِ ولا السَّرَاوِيلَاتِ ، ولا البَرَانِس، ولا الْخِفَافَ إلا أَحَدٌ لا يجد نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا أسفل من الكعبين ولا تَلْبَسُوا من الثِّيَابِ شيئاً مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ، أَوْ وَرْسٌ"(١)

فإن السؤال كان عما يجوز لبسه للمحرم، وفي الجواب عنه بتعداد زيادة إطناب ليس فيه كثير فائدة ، ومن ثم عدل في الجواب إلى بيان مالا يجوز لبسه له ، وهو أشياء معدودة ، فعلم منه ما يجوز لبسه له على وجه إجمال يغني عن التفصيل ،ويربو عليه؛ لأنه يفيده بطريق البرهان ، فهو من الإيجاز

---

١) صحيح البخاري بحاشية السندي ط دار إحياء الكتب العربية نشر دار التراث العربي القاهرة ج ١ ص ٢٦٨. والقُمُص بضم أوله وثانيه، جمع قميص .والسراويلات: جمع سروال ،فارسي معرب ، والبرنس: قلنسوة طويلة ، أوكل ثوب رأسه منه دراعة كان او جبة.و الورس:بفتح فسكون،نبت أصفر طيب الريح يصبغ به . راجع الموطأ للإمام مالك تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . ١٣٦.

البليغ. [1]

ومنه أيضًا ما في حديث أبي ذر – ﷺ – قال: " قلت يا رسول الله ! ما آنية الحوض ؟ قال : والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها..."[2]

فإن سؤاله – ﷺ– كان عن ماهية الآنية، ولا فائدة في علمها، وإنما الفائدة في علم كثرتها؛ إذ بها يندفع محذور المزاحمة، فأجيب ببيانها"[3]

ومنه أيضًا ما روي عن عائشة – رضي الله عنها – أن قومًا قالوا للنبي – ﷺ– : إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندري : أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ ، فقال: سَمُّوا عليه أنتم وكُلُوهُ"[4] فالسائلون كانوا يخبرون رسول الله – ﷺ –عن حالة هذا اللحم، وأنهم لا يعلمون أيذكر اسم الله عليه أم لا؟

فكان جوابه – ﷺ – أن أمرهم بأن يسموا هم عليه؛ ثم يأكلوه، وهذا من الأسلوب الحكيم؛ لأنه من إجابة السائل بغير ما

---

(١) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم تحقيق د/ محمد الصامل ص ١٢٦

(٢) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء التراث العربي .بيروت الحديث رقم ٢٣٠٠ج ٤ ص ١٧٩٨.وسنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ط دار إحياء التراث العربي . بيروت .الحديث رقم ٢٤٤٥ج ٤ ص ٦٣٠.

(٣) رسالة ابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم تحقيق الدكتور محمد الصامل ص ١٢٧.

(٤) الموطأ للإمام مالك ص ٢٠٦و صحيح البخاري بحاشية السندي ج ٣ ص ٣١١

يترقّب ويطلب، تنبيهًا له على أن هذا الجواب هو الأهم له، كأنه يقول: الذي يهمكم أنتم أن تذكروا اسم الله عليه وتأكلوا منه ، فجوابه – ﷺ كان مراعيًا لحال السائل، مبنيًا على ما يصلح له.

ونظير ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة قال ويلك وما أعددت لها ؟ قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله ،قال إنك مع من أحببت فقلنا ونحن كذلك...

فإن الرسول– ﷺ– سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم ؛ لأنه سأل عن وقت الساعة وقد أجابه المصطفى بقوله : ما أعددت لها، يعني إنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة. (١)

إلى غير ذلك من أحاديث النبي – ﷺ– التي تضمنت سؤالًا وجوابًا وقد بني الجواب فيها على ما يهم السائل.

٤– في مقام التأدب والاحترام مع المخاطب لعلو منزلته.

فقد يُسْأل الإنسان بسؤال محدد ، لكنه يعدل عن الجواب إلى جواب آخر ، تأدبًا وإجلالًا، وذلك كما في جواب العباس – ﷺ – حينما سئل :أأنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني لكني أسن منه.

فقد تأدّب العباس مع مقام النبي – صلوات الله عليه – وحمل السؤال عن كبر السن على أنه سؤال عن كبر المقام،

(١) عمدة القاري للعيني ط دار إحياء التراث العربي بيروت ج ٢٢ ص ١٩٦ وتحفة الأحوذي ج ٧ ص ٥٢.

ونسب ذلك للنبي - ﷺ-، ثم أجاب عن السؤال في قوله:"لكني أسن منه".

٥- في مقام إظهار القدرة على الجدل والمناورة، وبيان البراعة في التخلص من السائل، واستدراجه إلى ما يرغب فيه المتكلم دون أن يثير حفيظته وقد رأينا ذلك في محاورة القبعثري للحجاج.

وأما المقام الثاني فهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب. ويتمثل ذلك في عدة مقامات؛ منها:

١- محاورة الأب لابنه وحمل كلامه على خلاف ما يريد تنبيهًا له على أن ذلك هو الأولى بحاله أو الأهم.

٢- محاورة الصديق لصديقه، وصرفه عن موضوع الحديث إلى موضوع آخر للغرضين السابقين.

٣- محاورة الشخصيات المسئولة.

٤- المخالفة في الرأي ويكون ذلك حينما تخالف محدثك في الرأي، ولا تريد أن تجابهه برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تصرفه في شيء من اللياقة واللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى.

٥- مقام الدعابة والظرف، وذلك بإضفاء الدعابة والسخرية والهزل على موضوع الحديث أيًا كان مجاله. من خلال الاعتماد على معنى ألفاظ المحاورة.

٦- في مقام الجدل ،والرغبة في إطالة الكلام ، وصرفه من موضوع لآخر.

٧- في مقام الحرب ويتجلى ذلك حينما يسأل الجندي قائده سؤالًا فيجاب بغيره حفاظًا على الأسرار العسكرية.

إلى غير ذلك من المقامات التي يستخدم فيها هذا الأسلوب، ويمكن أن يسهم في خدمتها، والخروج منها دون حرج، كما تبرز من خلاله بلاغة الكلام، وتنكشف أسراره البلاغية.

بلاغة الأسلوب الحكيم

أعتقد أننا أدركنا من خلال وقوفنا على الخصائص الفنية لهذا الأسلوب، والمقامات التي يستخدم فيها، أن هذا الأسلوب مبني على الحكمة في مخاطبة الناس، كما أن مقاماته أوسع من أن تحد في مقامات معينة.

بقي أن نقف هنا على بلاغة هذا الأسلوب وجماله وسوف أحاول ذلك من خلال الوقوف على الأغراض البلاغية . والآثار التربوية التي تستفاد من ورائه.

وأنبه إلى أن ذلك سيكون بصفة عامة؛ لأننا لا نستطيع ضبط بلاغة الأسلوب الحكيم بدقة؛ لأن كل موقع من مواقعه. قد يشي ببلاغة خاصة به، و كل مقام قد يوحي بدلالات لا يوحي بها مقام آخر.

ولاشك أن بلاغة هذا الأسلوب تكمن في جمال عبارته. وسمو أغراضه ومقاصده، وما يتمتع به من مفاجئة للمخاطب والسائل وهذا مما يجعل له سلطاناً على المخاطبين أشبه بوقع السحر ولكنه السحر الحلال.

وقد أشار إلى سحر هذا الأسلوب وجماله السكاكي في قوله: وإن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور ، وأبرزه في معرض المسحور .وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي ، وسلّ سخيمته حتى آثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب".(١)

كما ألمح ابن كمال باشا – بصفة عامة – إلى أغراض

---

(١) المفتاح ص ٢٨٧ وما بعدها

هذا الأسلوب البلاغية في قوله :" الأسلوب الحكيم مرجعه إلى العدول في الجواب عن موجب الخطاب لحكمة شريفة ، يقتضيها المقام ، أو نكتة لطيفة يرتضيها ذوو الأفهام، سواء أكان ذلك العدول لصرف الكلام عن مراد المتكلم إلى معنى آخر يحتمله أيضًا ، كما وقع في جواب القبعثري للحجاج ، أو بدونه كما وقع في جواب السائلين عن حال الهلال".(١)

وإذا ما أردنا أن نقف على بعض الأغراض البلاغية والآثار التربوية لهذا الأسلوب، فإن أول ما يلقانا من ذلك:

١- أن هذا الأسلوب وسيلة من وسائل التنبيه واللفت ؛ إذ فيه لفت للسائل و المخاطب إلى أن يتأملا في مقاطع الكلام ؛لأن السؤال يكون عن جانب ، والجواب عن جانب آخر ،أو يكون المخاطب مترقبًا من المتكلم معنى معينًا ثم يفاجئه بحمل الكلام على معنى آخر.

وكل هذا يجلب على الكلام الطرافة والنشاط والحسن، كما يجعل السائل و المخاطب يفكران في الكلام الملقى عليهما غاية التفكر، فإذا ما استقرا على معنى، تأكد هذا المعنى في ذهنهما فضل تمكن.

٢- يحتوي هذا الأسلوب على إرشاد لطيف، لكلٍ من المخاطب والسائل إلى ما هو الأليق والأهم بحالهما ، بحيث يكون سببًا في بعث المخاطبين على التدبر والتأمل في حال أنفسهم ،والكلام الذي ألقي إليهم حتى إذا أمنعوا النظر

(١) رسالة الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا تحقيق الدكتور محمد بن علي الصامل ص ١١٧

علموا أنهم على ضلالة أو خطأ فيبعثهم ذلك على التسليم والالتزام بما ألقي إليهم.

ويتجلى ذلك في أجوبة موسى -عليه الصلاة والسلام- لفرعون مما حكاه الله – تعالى – في قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (١)

٣- يمكن الأسلوب الحكيم صاحبه من عدم المواجهة مع الخصم، والنجاة من إنزال العقوبة، إن أرادها الخصم ودبر لها، ويتمثل ذلك في إجابة المهلب بن أبي صفرة حين سأله الحجاج:

أنا أطول أم أنت ؟ فقال :أنت ، وأنا أبسط منك قامة.

فقد سأله عن الطُول الذي هو ضد القصر ، فأجابه بالطَّول بمعنى التفضل تنبيهًا له إلى ما هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه ، كما أنه بهذا الجواب قد أبعد نفسه عن المواجهة مع الحجاج الذي كان يقتل بالمظنة ، ولعله أراد أن يستدرجه بهذا السؤال ليوقع به عقوبته، لكنه نجا بهذا الجواب الذي لم يفارق الحقيقة ، كما أنه لم يلق بها مرة.

٤- هذا الأسلوب يمكن الإنسان من الاحتفاظ بأسرار دون أن يفارق الحقيقة ، وهذا مما يتناسب مع مقام الحرب . وقد تجلى ذلك في إجابة النبي – ﷺ- حين سأله شيخ من الأعراب ،وهو في بدر ، وكان معه أبو بكر – ﷺ - :ممن أنتما؟

---

(١) سورة الشعراء /٢٣- ٢٤

فقال رسول الله – ﷺ-: نحن من ماء، ثم انصرف عنه. قال الشيخ : ما من ماء ، أمن ماء العراق؟[1]

فقد أخفى النبي – ﷺ – أمره ، وحافظ على سره دون أن يفارق الحقيقة ؛ لأنه أوهم أنه من العراق ؛ لأن من أسماء العراق (ماء) أو يكون وري عن قبيلة يقال لها (ماء) لكنه يريد أنه : ﴿ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[2]

وذكر أن رجلاً من الحيرة سأله خالد – ﷺ-:

فيم أنت؟ ، قال في ثيابي . فقال: علام أنت ؟ فأجاب: على الأرض. فقال أين أنت ؟ فقال: بينك وبين الحائط. فقال : ما سنك ؟ فقال : عظم .

فقال خالد أسألك عن شيء وتجيبني عن غيره، فقال الرجل إنما أجبت عما سألت !!! [3]

٥- يحتوي هذا الأسلوب على أدب رفيع؛ إذ يتضمن لطفًا في الرد على المتكلم على وجه بلغ الغاية في التأدب وعدم المواجهة بالرد.

ويتجلى ذلك في إجابة سيدنا العباس- ﷺ- ، عندما سئل : أأنت أكبر أم رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟

فقال في أدب رفيع: رسول الله أكبر مني ، لكني ولدت قبله.

---

(١) ينظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرون . ط. دار المعرفة .لبنان. القسم الأول ص ٦١٦.

(٢) سورة الطارق / ٦-٧

(٣) ينظر البيان والتبيين للجاحظ ج٢ ص ٧٤

فحمل السؤال عن كبر السن محمل السؤال عن كبر المنزلة تأدبًا مع مقام رسول الله – ﷺ–، فانظر إلى هذا الأدب الرفيع من سيدنا العباس – رضي الله عنه– !!!

والذي مكنه من ذلك هو اللجوء إلى الأسلوب الحكيم

٦- هذا الأسلوب وسيلة من وسائل التوكيد والتقوية ؛ لأن المخاطب به يتوهم أن المعنى الثاني هو عين الأول ؛ فإذا أدام النظر وحقق الفكر، علم أنه غيره ،فيكون ذلك سببًا لاستقراره في الذهن ورسوخه في النفس ، وهذا أدعى للثبوت وعدم التفلُّت ، وليس هذا في صورة دون صورة من صوره ، ولا في موقع دون موقع من مواقعه ، إنما هو في كل صوره وكل مواقعه.

٧- يفيد هذا الأسلوب الاستعطاف ،وقد ظهر ذلك في قصة الغضبان بن القبعثري مع الحجاج ، فقد استطاع الغضبان من خلال لجوئه إلى الأسلوب الحكيم أن يستعطف الحجاج . وأن يستل سخيمته ،وأن يحظى بعفوه بعدما هدده بالعقاب.

٨- ولهذا الأسلوب آثار تربوية وتعليمية جليلة ، يمكن الإفادة منها في مجالي التعليم والدعوة إلى الله – جل وعلا – ؛ لأنه يمكن المتكلم – المعلم والداعية – من التعبير عما يريد بأسلوب رقيق دقيق ، يلفت فيه نظر المخاطب –الطالب والمدعو – إلى ما يريد ؛ لأنه الأليق أو الأهم له دون أن يثير كبره وغروره اللذين يمنعانه من قبول العلم أو الحق.

وفي مجال الدعوة إلى الله يبدو هذا الأسلوب مناسبًا تمام المناسبة ؛ لأنه يمكن الداعية –حين يسأل– من تنبيه المخاطب إلى ما هو أولى بحاله أو حال المتكلم أو حالهما .

وذلك من خلال إجابته بغير ما سأل أو بجواب أزيد أو أنقص ؛ لأن هذا هو الأليق بحاله.

أو من خلال حمل كلامه على غير ما يريد تنبيهًا له على أن هذا هو الأولى أو الأهم.

ومن ثم تتجلى لنا أهمية هذا الأسلوب في مجال الدعوة إلى الله وكذلك في مجال التعليم، ولعل في هذا ما يفسر لنا مجيء هذا الأسلوب في القرآن الكريم والحديث الشريف.

٩- يمكن هذا الأسلوب صاحبه من التخلص من الأسئلة المحرجة له.

١٠ - يستطيع المتكلم أن يظهر مقدرته على المحاورة والجدل من خلال استخدامه لهذا الأسلوب.

١١- يمكن هذا الأسلوب صاحبه من الدعابة والهزل بأسلوب طريف جميل.

إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية التي يفيدها الأسلوب الحكيم مما يوحي بها المقام ويرشحها السياق.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة الممتعة التي طوفنا من خلالها بين أفنـــاء هذا اللون البلاغي، الذي مرّ بعدة أطوار، وتسـمّى بعـدة أسـماء. واختلطت أفنانه مع أفنان ألوان بلاغية أخرى.

نصل إلى نهاية المطاف وخاتمة البحث لنسجل أبرز ما أسفر عنه البحث من نتائج.

وقبل ذلك أذكر بأن هذا البحث جاء في مقدمـــة، ومبحثـين. وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

فأما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع في حقـل الدراسات البلاغية، والمنهج الذي سرت عليه فيه.

وأما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن نشأة الأسلوب الحكيم وتطوره، وقد جاء ذلك في خمس مراحل، هي:

- المرحلة الأولى: الإشارة إليه ومحاولة وضع المصـطلح. وكان ذلك على يد الجاحظ وعبد القاهر.
- المرحلة الثانية : وضع المصطلح والتعريـف ،وتبيـين الأقسام والتمثيل لها. وكان ذلك على يد السكاكي.
- المرحلة الثالثة: شرح التعريف وتوضيحه، وبيان فائدة العدول عن مقتضى الظاهر.وكان ذلك على يد الخطيـب القزويني.
- المرحلة الرابعة: إفراده بالدراسة، ومحاولة التفريق بينه وبين بعض الألوان البلاغية الأخرى. وكان ذلك على يـد ابن كمال باشا.
- المرحلة الخامسة:محاولة استخراجه من التراث. وكـان ذلك على يد بعض الباحثين مـنهم محمـد بـن عيسـى

الشريفين في دراسته للأسلوب الحكيم في الحديث الشريف.

وأما المبحث الثاني فكان بعنوان:" الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية "، وقد تحدّثت فيه عن مفهوم هذا الأسلوب عند اللغويين والبلاغيين، وعن صوره في الكلام البليغ، وعن مواضع دراسته عند البلاغيين،ثم وقفت لأبين أوجه الاقتراب وأوجه الافتراق بينه وبين بعض الألوان البلاغية الأخرى.

وأخيرًا وقفت مع بلاغته وأثره على الكلام والمخاطب، ومن ثم عرضت لخصائصه الفنية.

هذا هو ملخص البحث، أما عن النتائج التي أسفر عنها، فهي:

١- أول من أشار إلى الأسلوب الحكيم هو أبو عثمان الجاحظ ، حيث عرض له مرتين : مرة في باب " اللغز في الجواب " ، ومرة في باب:" كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وقصد صاحبه " ، وعرضه له فيهما لم يكن عرضًا مستقلًا ،ولكنه خلطه بغيره من ألوان التعبير الأخرى.

وعلى الرغم من أن الجاحظ أول من أشار إلى هذا الأسلوب ، فإن المتأخرين من البلاغيين لم يشيروا إليه ، وإنما أشاروا إلى عبد القاهر الجرجاني، ولعلهم تأسوا في ذلك بالخطيب القزويني.

٢- أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الأسلوب الحكيم ، وسماه : " المغالطة "، وما يميز إشارته هذه، أنه اقترب فيها من وضع المصطلح.

٣- أبو يعقوب السكاكي أول من سمَّى هذا الأسلوب بالأسلوب الحكيم ،وأول من وضعه في مسائل علم المعاني ، وأول من وضع له تعريفًا دقيقًا لا يزال يذكر به حتى اليوم ، وأول من قسَّمه إلى قِسْمَيْه،وأول من مثَّل له من القرآن الكريم والشعر - وقد كانت

الأمثلة عند الجاحظ وعبد القاهر من خلال المحاورات النثرية – وأول من كشف عن أثر هذا الأسلوب في الكلام ، وأماط اللثام عن بلاغته.

٤- الخطيب القزويني أخذ كلام السكاكي ،وشرحه، وأوضحه ، وهذَّبه.

٥- انحصر جهد شراح التلخيص في الشرح والتوضيح . وإظهار أواصر القربى بين هذا الأسلوب وبين بعض ألوان البديع.

٦- أول من أفرد هذا الأسلوب بالدراسة هو ابن كمال باشا؛ إذ وضع رسالة في بيان الأسلوب الحكيم وتمييزه من الأساليب المعتبرة عند أرباب البلاغة وأصحاب البراعة.

٧- الأسلوب الحكيم ليس من مباحث المسند إليه .

٨- يقوم الأسلوب الحكيم على عدة محاور، هي:

أ- المحاورة بين اثنين:متكلم ومخاطب أو سائل ومجيب.

ب – الإجابة بغير ما يترقّب.

جـ – مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل.

٩- الأسلوب الحكيم قسمان:

الأول:تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب.

الثاني:إجابة السائل بغير ما يسأل.

١٠- درس البلاغيون الأسلوب الحكيم في ثلاثة مواطن:

الأول: ضمن موضوعات خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في علم المعاني:

الثاني: في باب الاستفهام.

الثالث: ضمن موضوعات علم البديع.

١١- أدق مكان يناسب الأسلوب الحكيم هو علم المعاني في باب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

١٢- الوسائل التي يسلكها المتكلم للوصول إلى الأسلوب الحكيم في -قسمه الأول - كثيرة ومتعددة ، منها اللفظ المشترك ، ومنها التشابه في الصورة بين اللفظين مع اختلافهما في المعنى ، وأحياناً في المعنى والاشتقاق ، ومنها تقسيم الكلمة إلى قسمين وإدخال جزء واحد منها في تركيبين مختلفين ، ومها اختلاف المتعلق.

وقد يتحقق بماله تعلق بالكلمة ، وقد يتحقق بما يضاد الكلمة .وسبق التمثيل لكل ذلك.

أما في القسم الثاني فإن الأسلوب الحكيم يدخل ثلاث حالات من حالات الجواب مع السؤال، وهي:

أ- ما يكون الجواب فيها مخالفًا للسؤال .

ب - ما يكون الجواب فيها أزيد من السؤال لحكمة.

جـ - ما يكون الجواب فيها أنقص من السؤال لحكمة.

أما الحالة الرابعة ، وهي التي يطابق الجواب فيها السؤال ،فإنها لا تدخل ضمن هذا الأسلوب.

١٣- لهذا الأسلوب مقامات كثيرة ومتنوعة منها:

- مقام عجز السائل عن فهم الجواب على الوجه الصحيح.
- مقام التخلص من بعض الأسئلة المحرجة.
- حينما يسأل السائل عن شيء ليست له أهمية.
- مقام التأدب والاحترام مع المخاطب لعلو منزلته.
- مقام الجدل والمناورة والرغبة في إطالة الكلام.
- محاورة الأب لابنه.
- محاورة الصديق لصديقه.
- مقام الدعابة والظرف.
- عندما تخالف محدثك أو مخاطبك في الرأي.
- مقام الحرب إلى غير ذلك من المقامات التي تناسب هذا الأسلوب.

١٤- لا يخلو هذا الأسلوب من حسن السبك، وروعة التعبير. وجمال المفاجأة، وسحر البيان وباختصار هذا اللون من أرقى الأساليب الفنية وأرحبها خيالًا.

١٥- لهذا الأسلوب أغراض بلاغية كثيرة ،منها:

- أنه وسيلة من وسائل التنبيه واللفت.
- أنه وسيلة من وسائل التوكيد والتقوية.
- أنه يمكن المتكلم من عدم المواجهة في الحديث.
- أنه يمكن المتكلم من إرشاده مخاطبه بلطف.
- أنه يمكن الإنسان من الاحتفاظ بأسراره.
- أنه يمكن صاحبه من التخلص من الأسئلة المحرجة.
- يستطيع المتكلم أن يظهر من خلاله مقدرته على المحاورة والجدل.
- أنه يمكن صاحبه من الدعابة والهزل.
- أنه يحتوي على أدب رفيع.
- أنه يمكن من الاستعطاف، إلى غير ذلك من الأغراض التي يبوح بها هذا الأسلوب، والله أعلم.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

القنفذة – منطقة مكة المكرمة

السبت ١٩/ ٥/ ١٤٢٩هـ الموافق ٢٤ / ٥ / ٢٠٠٨م

الباحث

سعيد إسماعيل الهلالي

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانياً:المصادر والمراجع الأخرى

١. الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن علي بن محمد الآمدي تحقيق د. سيد الجميلي. ط .دار الكتاب العربي .بيروت. لبنان .ط. أولى. ١٤٠٤هـ.

٢. أسباب النزول للوا حدي. ط .مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٣. الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية مع تحقيق رسالة لابن كمال باشا للدكتور محمد علي الصامل. ط .دار أشبيليا بالمملكة العربية السعودية. ط.أولى عام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

٤. الأطول لعصام الدين الإسفرائيني تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. ط .دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط. أولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

٥. الأعلام لخير الدين الزر كلي ، دار العلم للملايين ، بيروت. لبنان. ط .سادسة١٩٨٤م.

٦. الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير مطبوع على هامش الكشاف .ط. دار المعرفة. بيروت. لبنان.

٧. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني .مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر. ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٨. بحوث المطابقة لمقتضى الحال للدكتور علي البدري (القسم الأول) ط. مطبعة السعادة، ونشر المكتبة الحسينية بالقاهرة. ط . ثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٩. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط. ثانية. ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

١٠. البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم البديع) للدكتور بكري شيخ أمين ط . دار العلم للملايين .بيروت. لبنان. ط .ثانية ١٩٩١م.

١١. البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع) للدكتور فضل حسن عباس ط. دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان. الأردن. الطبعة التاسعة. ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

١٢. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .ط. دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان.

١٣. تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري . ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر تحقيق الدكتور حفني شرف.

١٤. تحفة الأحوذي لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيد المباكفوري (ت١٣٥٣هـ). ط. دار الكتب العلمية .بيروت .لبنان بدون تاريخ

١٥. تفسير أبي السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم ط. دار الفكر . بيروت . لبنان.

١٦. تفسير الو احدي تحقيق صفوان عدنان داو ودي . ط. دار القلم والدار الشامية دمشق وبيروت. ط .أولى .١٤١٥هـ.

١٧. التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني . ضبط وشرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي .ط دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان.

١٨. حاشية الدسوقي على شرح السعد – ضمن شروح التلخيص – ط . دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان.
١٩. حاشية الشيخ مخلوف المنياوي على شرح حلية اللب المصون .مكتبة اليمن الكبرى . صنعاء.
٢٠. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية للدكتور عز الدين علي السيد. دار اقرأ. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م
٢١. الحلة السيَرا في مدح خير الورى لابن جابر الأندلسي تحقيق علي أبو زيد. ط. عالم الكتب. ط ثانية. ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.
٢٢. خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين علي بن حجة الحموي شرح عصام شعيتو .دار مكتبة الهلال .بيروت . لبنان ١٩٨٧م. ط أولى.
٢٣. خصائص التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى . مكتبة وهبه. ط. ثانية ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م.
٢٤. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر.ط الهيئة العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) عام٢٠٠٠م.
٢٥. رسالة لابن كمال باشا في الأسلوب الحكيم تحقيق الدكتور محمد علي الصامل . ط . دار أشبيليا.
٢٦. روح المعاني للألوسي . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٧. زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للشيخ أحمد الحملاوي تحقيق مجدي فتحي السيد ط المكتبة التوفيقية بمصر.

٢٨. سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير (ت ٨٥٢) تحقيق محمد عبد العزيز الخولي. ط دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ.

٢٩. سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. ط. دار إحياء التراث العربي .بيروت. لبنان.

٣٠. سنن ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر.

٣١. السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرون . ط.دار المعرفة لبنان.

٣٢. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي. ط. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٨هـ= ١٩٣٩م.

٣٣. شروح التلخيص. ط. دار الكتب العلمية .بيروت .لبنان.

٣٤. الصبغ البديعي للدكتور أحمد إبراهيم موسى .دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .ط. أولى ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

٣٥. صحيح البخاري بحاشية السندي. ط. دار إحياء الكتب العربية. نشر دار التراث العربي القاهرة.

٣٦. صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ط .دار إحياء التراث العربي .بيروت لبنان.

٣٧. طالع السعد الرفيع في شرح نور الربيع على نظم البديع المتضمن لمدح الحبيب الشفيع – ﷺ- للشيخ عبد الحميد قدس بن محمد بن علي بن الخطيب. ط. مكتبة ومطبعة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده بمصر، والمطبعة الميمنية بمصر ١٣٢١هـ.

٣٨. الطراز للعلوي اليمني.ط .دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان.

٣٩. طراز الحلة وشفاء الغلة لأبي جعفر شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي تحقيق. د. رجاء السيد الجوهري. ط .مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية مصر.

٤٠. العجاب في بيان الأسباب لشهاب الدين أبي الفضل أحمد علي تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس. ط. دار ابن الجوزي بالسعودية .ط. أولى ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

٤١. عروس الأفراح للسبكي – ضمن شروح التلخيص –. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

٤٢. عمدة القاري لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان.

٤٣. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل .ط .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت. لبنان.

٤٤. قطوف من البلاغة العربية للدكتور عبد الحليم محمد شادي. ط. التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست طنطا ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.

٤٥. الكشاف للزمخشري . ط. دار المعرفة . بيروت. لبنان.

٤٦. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. ط. دار إحياء العلوم بيروت. لبنان.

٤٧. لسان العرب لابن منظور . ط. دار المعارف . مصر.

٤٨. المثل السائر لابن الأثير تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية. صيدا . بيروت. ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

٤٩. المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك تحقيق الدكتور حسني عبد الجليل. مكتبة الآداب بالجماميز.

٥٠. المطول لسعد الدين التفتازاني . مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

٥١. معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ط. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

٥٢. معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب. مطبعة المجمع العلمي العراقي. ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٥٣. مفتاح العلوم للسكاكي تحقيق حمدي محمد قابيل .ط. المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٥٤. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين للدكتور فوزي السيد عبد ربه عيد .ط. دار الثقافة ط أولى ١٩٨٣ م .

٥٥. مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث للدكتور إبراهيم عبد الله الخولي .دار البصائر بالقاهرة ط أولى ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

٥٦. مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي – ضمن شروح التلخيص – ط.دار الكتب العلمية . بيروت.لبنان.

٥٧. الموطأ للإمام مالك تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. ط .المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م. ط .خامسة.

٥٨. الهول المعجب في القول بالموجب لصلاح الدين الصفدي تحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين. ط. دار الآفاق العربية . بالقاهرة.

٤٨. المثل السائر لابن الأثير تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية. صيدا . بيروت. ١٤١١هـ= ١٩٩٠م.

٤٩. المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك تحقيق الدكتور حسني عبد الجليل. مكتبة الآداب بالجماميز.

٥٠. المطول لسعد الدين التفتازاني . مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

٥١. معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ط. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١هـ= ١٩٩١م.

٥٢. معجم المصطلحات البلاغية للدكتور أحمد مطلوب. مطبعة المجمع العلمي العراقي. ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٥٣. مفتاح العلوم للسكاكي تحقيق حمدي محمد قابيل .ط. المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٥٤. المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين للدكتور فوزي السيد عبد ربه عيد .ط. دار الثقافة ط أولى ١٩٨٣ م .

٥٥. مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث للدكتور إبراهيم عبد الله الخولي .دار البصائر بالقاهرة ط أولى ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.

٥٦. مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي – ضمن شروح التلخيص – ط.دار الكتب العلمية . بيروت.لبنان.

٥٧. الموطأ للإمام مالك تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. ط .المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م. ط .خامسة.

٥٨. الهول المعجب في القول بالموجب لصلاح الدين الصفدي تحقيق الدكتور محمد عبد المجيد لاشين. ط. دار الآفاق العربية . بالقاهرة.